أنا وهمنجواي

من عنابة الى كوبا

خلف الله لامية

Modifier avec WPS Office

كل أسماء المشروب الواردة في الرواية هي جزء من حياة همنجواي ولا تعبر بالضرورة عن ميل أو ذوق الكاتبة أو ترويجا لأي مشروب...

Modifier avec WPS Office

إلى روح ارنست همنجواي حيث يرقد

وإلى أستاذي ومثلي الأعلى: حميد بوحبيب...

Modifier avec WPS Office

" بعض الناس يرون الأشياء كما هي ويتساءلون لماذا؟ وآخرون يحلمون بأشياء لم تكن أبدًا ويقولون لم لا؟ "

جورج برنارد شو

" أنت حاضر في الزمان وفي المكان، في الحلم وفي اليقظة، في الهواء الذي أتنفسه "

واسيني الأعرج

" لا ليل يكفينا لنحلم مرتين "

محمود درويش

Modifier avec WPS Office

" على الشاطئ وبين أمواج البحر"

" لاحظ كم من الرائع أن يكون لدى المرء شخص يتحدث إليه بدل حديثه إلى نفسه" العجوز والبحر

كانت ليلة هادئة، نسيم عليل، هواء يرد الروح، نسمات تداعب جسدي وأنا جالسة على شاطئ "جنان الباي" أو كما يسميه العنابيون "واد بقراط" بمنطقة سرايدي. كنت أستمتع بالطبيعة العذراء التي امتزج فيها الجبل والغابة بزرقة البحر في تناغم طبيعي مثير.

حينما ألجأ إلى الطبيعة فإنني أكون دوما راغبة

Modifier avec WPS Office

في أن تجردني من ثوب البشر الذي أجبروني على لبسه؛ فمهما كنا أحرارا في عقولنا وتصرفاتنا إلا أن حياتك وسط المجتمع تفرض عليك قيودا لا تتحرر منها إلا إذا احتضنتك الطبيعة ووجدت نفسك أمامها عاريا مجردا من كل قيود، حينها فقط تستطيع أن تطلق العنان للحلم... قد تحلم وأنت نائم بين جنباتها وقد تذهب بعيدا وأنت مستيقظ... كلاهما حلم يصعب بعده العودة إلى ما يسمونه الواقع وليس سهلا التأقلم معه خاصة إذا كنت قد حلقت عاليا...

جلسة أمام البحر لا يمكن أن تكتمل من دون رفيق، كنت أحمل بين يدي كتاب "العجوز و البحر" الذي جعلني أتأمل هذه الطبيعة الواقفة أمامي بشكل مختلف... أن تقرأ قصة العجوز سانتياغو بجانب البحر فأنت تعيش جزءا منها بحواسك ... أغمضت عيني ورحت أستمع لصوت ا لأمواج المتلاطمة مُمنية نفسي بجولة في عرض البحر... بينما أنا في خلوتي مع البحر والكتاب و الرمال ورقة المياه التي تلامس جسدي من حين لآ خر، سمعت صوتا أشبه ما يكون صوت قارب،

Modifier avec WPS Office

فتحت عيني فرأيت قاربا قادما من بعيد... لم يكن يشبه شكل القوارب التي اعتدت رأيتها... نهضت من مكاني ورحت أراقب شكل القارب الغريب وهو يقترب شيئًا فشيئًا... شعرت فجأة بدقات قلبي تتسارع وأنا وسط هذه الطبيعة الخالية من كل بشر ولم أكن أدري لماذا... القارب كان قديما، على متنه رجل تبدو عليه علامات الشيخوخة، على رأسه قبعة، يلبس قميصا أبيضا مفتوح الأزرار ونظارة لمحتها وهو يقترب أكثر فأكثر... هذا الوجه ليس غريبا علي، قلت في نفسي. وصل القارب إلى الشاطئ وأنا لازلت في مكاني لا أدري ما العمل...

أخذت أتفرّسه جيدا وهو ينزل من القارب... هذه اللحية التي كساها الشيب وهذا القميص والقبعة أين رأيتهم؟ ... بقيت أحدق فيه جيدا وهو يمشي متجها نحوي، يداه في جيبه، بطنه بادية من تحت القميص... أين شاهدت هذه الهيئة؟ هذا الرجل ليس من هنا، هذه السحنة ليست عنابية (نسبة إلى ولاية عنابة بشرق الجزائر) ولا جزائرية... رحت أسترجع بعض المقابلات الصحفية، الجديدة منها والقديمة، التي كنت أشاهدها من حين لآخر وبعض صور الكتب والروايات... من وقت لآخر،

Modifier avec WPS Office

كلما قرأت رواية أو كتابا أبحث بفضول في أرشيف المقابلات الصحفية والربورتاجات عن الكاتب في طريقة كلامه ولباسه وهيئته ومدى ثقته في نفسه والأجمل لو عثرت على فيديو يصور الكاتب داخل بيته لأرى ذلك العالم الذي خرج منه كل ذلك الابداع، وفي المقهى كذلك (مثل الفيديو الذي استمعت فيه لقصيدة محمود درويش "وحدك في المقهى جالس" وصورة درويش أمامي في المقهى وحيدا يحمل الجريدة وأمامه قهوته التي شاهدته وهو يعدها في بيته) ...

الصور بدأت تتركب مع بعضها البعض كشريط سينمائي في مخيلتي... أخذت ذاكرتي تربط الصور بالصورة الماثلة أمامي للرجل الذي ما إن نظر إلي وأمعنت فيه جيدًا حتى تسمرت في مكاني غير قادرة على النطق وكأن صدمة ما شلت كياني: هل من المعقول أن يكون هو؟ لا مستحيل... مستحيل أن يكون نفس الشخص... هو ميت... لقد وضع حدا لحياته بيده... هل يمكن أن يعود ميت إلى الحياة؟

بينما كنت في حالة الذهول والشلل الذي أصابني،

Modifier avec WPS Office

كان هو واقفا وقفته المعتادة، يداه في جيبه، ابتسامته الجذابة على وجهه، عيناه تتلألآن... كل علامات حب الحياة كما عهدته شغوفا بها كانت بادية على محياه الجميل...

- ه... ه... ه... هل... أن... أأأن... أنت ...
- ما بك عزيزتي؟ رد بصوته الذي كنت أستمتع بالا ستماع إليه في أحاديثه الصحفية...
- ه... ه... ه... هل... أنت هو حقا؟

أحسست الكلمات تهرب مني ولساني عاجزا عن الكلا م... ما يحدث الآن أمامي غير معقول... هل هذا هو حقا أم شبحه؟ مع أني لا أؤمن بالأشباح ولكن الآن لست أدري إن كنت على خطأ... لاحت في ذهني فكرة الهروب لكنني لست متعودة على الفرار مهما كانت الظروف... استجمعت قواي وتنفست بعمق ثم سألته:

- هل أنت فعلا ارنست همنجواي؟
- ..... بقي صامتا ومبتسما في نفس الوقت... بهيًّا... لقد كان بهيًّا وشهيا... لا أدري ماذا أفعل أمام ابتسامة الملاك هذه، لكنني لست أدري إن كان ملاكا أم شبحا؟

Modifier avec WPS Office

- لماذا قالوا أنك ميت؟
- وما رأيك أنت؟
- قرأت أنك ميت ولكني لم أحس بذلك... لقد كنت حاضرا معي في كل مكان... سافرت معك عبر الأ مكنة ولم أؤمن يوما أنك ميت...
- وأنا هنا لأجل من يؤمنون أنني حي...
- يا عزيزي أنت حي في العقول وفي القلوب... في كل يوم وكل لحظة، في مكان ما من هذا العالم يحمل أحدهم كتابا لك، يتحدث إليك عبره...
يحاور روحك ... نعم يا بابا إنه يحاور روحك (كانوا ينادون ارنست همنجواي بهذه التسمية بابا همنجواي) ...

اقترب مني بابا، طبع قبلة على خدي ثم جلسنا على رمال الشاطئ... أعلم أنه زار افريقيا في رحلات السفاري التي قام بها، لكن هل خطر بباله أن يزور الجزائر؟

كانت نظرات الإعجاب بادية على وجهه وهو يتأمل سحر طبيعة جبال الإيدوغ بينما أنا لم أزح عيني من عليه، كنت أتأمله بكل تفاصيله... هذا الرجل الذي

Modifier avec WPS Office

سافر بي إلى باريس، أدغال افريقيا، اسبانيا، إيطاليا، كوبا من دون أن أتحرك من مكاني. عشت معه الحرب بكل تفاصيلها ودخلت إلى أعماق من اكتووا بها لكنهم لم يتخلوا عن حبهم للحياة رغم شراسة الحرب ودويّها، لذلك عشت شغف الحياة حينما وجدتني جزءًا من كل قصة...

- إنه مكان ساحر ... فعلا ساحر عزيزتي...
- زادها ضياءك نورًا يا بابا...
- ما اسم هذا المكان؟
- نحن هنا على شاطئ جنان الباي بمنطقة سرايدي...
- أين أنا؟
- أنت بولاية عنابة في الجزائر.
- أوه... الجزائر بلد الثورة... بلد المقاومة والأحرار...
- لقد استقلت الجزائر يا بابا... منذ 1962م وهذه الأ رض الجميلة ملك لنا... لكنها لم تخلو من التقلبات الداخلية...
- لهذا رأيتك من بعيد تفكرين؟
- أنا آتي إلى هنا لأستعيد الحياة وأنزع السواد قليلا عن رأسي، مهما يكن فهناك جانب مشرق يجب أن

Modifier avec WPS Office

نتشبث به حتى نستطيع الاستمرار وهي معركة الا نسان من أجل البقاء منذ أن وُجد على هذه الأرض وأنت أيضا كنت متشبثا بالبقاء حتى أمام فضاعة الحرب، كنت تستمتع... لكن صراحة قبل أن تأتي بثوان كنت أفكر في عشاء الليلة... العجوز سانتياغو فتح شهيتي على ثمار البحر...

- هل فكرت ماذا ستطلبين مع ثمار البحر؟
- أفكر في طلب سباغيتي بفواكه البحر من مطعم قريب من هنا يدعى لوكاستانيا Le Castanea... هل تعجبك؟
- ما رأيك في عشاء تصطادينه بنفسك من البحر؟
- أوه... هذا مثير... ماذا لو نقوم بمغامرة مثل تلك التي قام بها العجوز سنتياغو في قلب البحر؟
- تحبين المغامرات؟ هذا ممتع... ستكونين رفيقتي...
- ربما أحببتها أكثر بعد أن قرأت لك ولكثير من الكتاب الأمريكان... أنتم الأمريكيون لديكم حب وهوس بـ المغامرة... حياتكم صاخبة... لا تحبون الهدوء... ربما لهذا أمريكا تحدث صخبا حول العالم...
- هذه المياه هي التي تحدث صخبا عزيزتي... هيا تعالي اركبي... لا تضييعي الوقت...

Modifier avec WPS Office

- لكنني لم أركب البحر يوما وأخاف القارب.
- أنا بجانبك... معي لا تخافي... أنا متعود على الصيد...
- نعم... أعلم أنك متعود على السفر وسط الأمواج...

ركبت القارب مع قليل من الخوف، وضع يده على كتفي ليمنحني إحساسا بالأمان كنت أحتاجه ... ما إن انطلقنا في عرض البحر حتى نسيت خوفي وأنا بداخل هذا العالم لأول مرة... عالم يختلف عن البر كثيرا... عطر البحر كان قويا إلى جانب دفء بابا ، حتى الهواء الذي كنت أستنشقه كان مختلفا... كنت أحس وكأن ثقلا فوق جسمي بدأ ينزاح وأصبحت أكثر حيوية مثله تماما، هو لطالما كان حيويا محبا للحياة لذا هو أمامي الآن مقبل عليها ومتحرر من كل ما يعكر صفوها...

كنت أنظر إليه كيف يعد الطعم بعناية ويضعه في الصنارة ثم يرميها بقوة لتغوص في عمق البحر باحثة عن الفريسة... بين الحين والآخر كان يشد الصنارة، في كل مرة كان يُخرج سمكات صغيرة، كان متذمرًا، هل يريد اصطياد سمكة كبيرة؟ سألت نفسي... وماهي إلا لحظات حتى أحسست القارب يهتز والصنارة تتحرك يمينا وشمالا، كان يمسك بها

Modifier avec WPS Office

ويقاوم بكل قوته تحركات السمكة ومحاولاتها للإفلا
ت... سمعته فجأة يقول: " أيتها السمكة سأبقى
وراءك حتى الموت... أيتها السمكة إنني أحبك كثيرا
وأحترمك لكنني سأمسك بك قبل نهاية هذا اليوم...
"

يا إلهي... أهذا العجوز سنتياغو أم ارنست؟ إنه يردد
نفس عبارات الشيخ عندما كان يخاطب السمكة
وكأنه يخاطب بشرًا... كانت السمكة من جهتها تقاوم
وهو من جهته لم ييأس، لا شك أن في ذهنها فكرة
ما؛ مثلما خمّن العجوز وهو بين مياه هافانا...

لكنني لا يجب أن أبقى متفرجة، لابد أن يكون لي
دور ما... هرعت من مكاني إليه، وضعت يديّ على
يديه ثم أخذنا نقاوم ونجذب الخيط إلينا والسمكة
بدورها لم تستسلم، هي أيضا متشبثة بالحياة... كان
بابا سعيدا لأنني بجانبه وبدوري كنت أسعد وأنا
أدخل عالم الصيادين وأحس بما يحسونه وهم وسط
البحر... كثير منا يعشق أكل السمك لكن قليل من
يفكر كيف وصلت هذه الأسماك إلى فمه وبطنه
مرورا إلى عقله، آكل السمك ذاكرته لا تخيب وعقله
دوما ينزف... أليس سببا قويا يجعلنا نتساءل من
أين للصيادين تلك القدرة العجيبة على ركوب أمواج

Modifier avec WPS Office

غير مضمونة قد تكلفهم حياتهم يوما؟ لطالما مررت بميناء الصيد متسائلة ولم أجد الإجابة يوما حتى حملت بين يدي كتاب "العجوز والبحر" ودخلت إلى أعماق العجوز سنتياغو ثم ابحاري مع بابا وسط مياه عنابة هذه المرة...

****

تجربة الصيد كانت فريدة من نوعها، على الرغم من أننا لم نعد بالسمكة الكبيرة خاصة مع تغير الجو لا لأسوأ

لكن الصيد يعلمك الصبر والكفاح وعدم الاستسلام، و الأهم الاعتماد على النفس... البحر فعلا مكان رائع تتجسد فيه معارك الانسان؛ تلك التي يخوضها مع نفسه وأخرى ضد قوى الطبيعة... فعلا، البحر يحمل هموم كل البشر من دون أن يكل أو يمل... كم من البشر يأتون يوميا ليرموا همومهم هنا ومع ذلك لا يزال قويا يغذي أرواحنا وأجسادنا... أي قوة هذه التي تمتلكها الطبيعة لتكون ملاذا للإنسان حين تضيق به السبل؟ ألهذا كان بابا عاشقًا للصيد؟ هل سفره وسط البحر هو من كان يمنحه تلك العزيمة و القوة التي جعلت حبه للحياة أقوى من أن تنغصها الحرب التي خاضها؟ لقد كان مستمتعًا بالرغم من

Modifier avec WPS Office

شراسة الحرب، ومن ثم وُلدت فيه قوة أخرى جعلت اسمه يجوب أنحاء العالم...

داخلني شعور رائع وأنا أشوي السمكات التي اصطدتها بيدي بعد أن علمني بابا كيف أمسك الصنارة وأراوغ الأمواج... حضّرت إلى جانبها طبقا من السلطة ثم أعددت طاولة الأكل كما ينبغي...

- لا يمكن أن تكتمل هذه الطاولة الزاهية من دون مشروب... فلنبحث لنا عن نبيذ...
- يا عزيزي، لسنا هنا في باريس ولا هافانا ولا إيطاليا... ليس مسموحا للمرأة دخول الحانات ولا الشرب...
- غريب...
- هو فعلا ً أمر غريب... لحد الآن لم نفهم لماذا؟ أو لا نريد أن نفهم حتى لا نصاب بخيبة أمل وحتى لا نتذكر مرارتنا...
- المشروب وحده من يمحو المرارة عزيزتي ...
- يمحوها لساعات وما إن يزول تأثيره حتى يعود نفس الإحساس.
- لذلك لابد من الشرب دوما...

Modifier avec WPS Office

- الشرب دوما يدمر صاحبه يا بابا... حتى أطباءكم ينصحون بالاعتدال في الشرب...
- فليذهبوا إلى الجحيم... أنا ذاهب للبحث عن مشروب...

هو هكذا ارنست حتى في حوارات شخوصه... ردوده دوما قاسية لكنها تستهويني لأنها جزء من روحه وأنا أعشق تلك الروح... بعد لحظات عاد بكيس فيه قنينة نبيذ جزائري... جلسنا إلى الطاولة، كنت أشاهده وهو يأكل، كان يشرب أكثر مما يأكل حتى قارب يكمل قنينة النبيذ... الأكل والشرب لدى الكتّاب كما الكتابة، فن من الفنون إن لم نقل أنهما أفضل الفنون على الاطلاق.

- هل أعجبك النبيذ الجزائري عزيزي ارنست؟
- كل النبيذ يعجبني عزيزتي...
- يُقال أن لدينا من أجود الكروم في العالم...
- ومع هذا لا تشربين... لماذا لا تستمتعين معي؟
- قلت لك إنه محرم عندنا... حتى الرجال يشربون في الخفاء بعيدا عن أهلهم...
- ومن حرمه؟

Modifier avec WPS Office

- الدين... نحن نعيش في بلد مسلم...
- غريب... إنه أمر غريب... فعلا غريب...
- حياتنا فعلا تبدو غريبة للشعوب الأخرى... دعك منا...

وواصل حبك للحياة...

- لماذا لا تحبينها أنت أيضا وتعيشينها كما يجب؟
- وما الذي يجب يا بابا؟
- يجب عليك شرب النبيذ للاستمتاع بالحياة، مع كل حدث أو كلما أردت الابداع في شيء ما؟
- الابداع؟؟؟؟؟؟
- نعم جميلتي... الابداع... لا يمكن أن يكون ابداع من دون مشروب... إنه يمنحك القوة والقدرة على المواصلة ويفتح العقل...
- لكن الشيوخ عندنا يقولون أنه يُذهب العقل... ربما أنت حالة خاصة يا بابا؟؟؟ أو نحن؟؟؟ سكتت ورحت أفكر...
- إنك مهمومة عزيزتي ... اضحكي وستبدو كل الأيام جميلة مهما كانت قسوتها...
- أنت أيضا تضحك من أعماقك، هذا هو السر الذي

Modifier avec WPS Office

أعطاك القوة لتخوض الحرب؟

- المشروب هو من يعطي القوة والسعادة...
- لكنهم يقولون أن طعمه غير محبذ...
- المشروب محبذ من أجل تأثيره وليس من أجل طعمه...
- حياتك ثرية بالمغامرات والكتابة... لكن لا أدري إن كان مفعول المشروب هو من أعطاك تلك الطاقة الهائلة أم مفعول حبك له؟ مع ذلك هو مدمِّر إن أفرطت في تناوله... هذا أمر معروف طبيا ولا يمكنك انكاره يا بابا...
- ..... صمت وأكمل شربه، كنت أعلم أنه لا جدوى من نصحه واكتفيت بالنظر إليه عن قرب...

بعد الانتهاء من العشاء رحنا نتمشى على شاطئ البحر بعد أن خلعنا حذاءينا، كلما داعبت المياه بشرتنا كنت أحس وكأن الطبيعة هذه الليلة تخرج كل ما في جعبتها من دلال لتغدق علينا به... تعبنا من المشي فجلسنا على الرمال ورحنا نتحدث حتى غلبنا النعاس...

نظرت إلى ساعتي فوجدت أن الوقت تأخر وأننا سهرنا كثيرا ورحت أفكر في عملي الذي لم أنتهي منه وكيف

Modifier avec WPS Office

سأستيقظ صباحا باكرا لأكمله قبل الخروج إلى العمل...

****

- ثريا... ثريا... انهضي أنت نائمة على الأرض...

تهادى إلي صوت بلقيس ففتحت عيني كمن عاد من بئر عميق... وجدتني على الأرض وبجانبي رواية " العجوز والبحر"... لقد نمت وأنا أشتغل عليها... نهضت من على الأرض وعدت إلى سريري وأنا أنظر إلى غرفتي وأفكر في الحلم... هل كان حلمًا أم حقيقة؟

أخذت دشًا دافئًا ولبست قندورتي (فستان تقليدي للبيت) القبائلية ذات اللون الأسود والتطريز الأ حمر، أنا أفضل القندورة على البيجاما لأنها تعطيني جانبا من الحرية في جسمي ثم قمت بتصفيف شعري ووضعت قليلا من عطري الفرنسي؛ أنا هكذا أحب الا هتمام بنفسي حتى لو كنت داخل البيت وهذا يمنحني إحساسا بالراحة والثقة بالنفس ثم ذهبت للمطبخ لتناول الفطور، حضرت كوبا من القهوة مع خبز التوست بالقمح الكامل وبعض الفاكهة... سمعت البنات خارجات للعمل، فكرت أن أحكي لهن عن حلمي لكن سأتركه للمساء فهن وحدهن يفهمنني عكس بعض البشر الذين سيقولون أنني أهذي أو أن كثرة قراءتي لهمنجواي جعلتني مجنونة به... كم هي نظرة البعض لـ

Modifier avec WPS Office

لأمور ضيقة، لا يعلمون أن هناك من الأحياء أموات اختاروا الظل مكانا لهم، يعيشون في صمت على الهامش ويرحلون ولا أحد يسمع بوجودهم، في حين هنالك من يأتون للدنيا بصخب فيملؤون العالم ضجيجا وعندما يرحلون يتركون الأثر الذي يجعلهم دوما أحياء...

البنات يعلمن أنني أحضر رسالة الماستر في الأدب الفرنسي التي تدور حول كتابات همنجواي بعد أن نصحني دكتور في الجامعة بالقراءة له عندما رأى شغفا مني للأدب الأمريكي وأنني دائمة القراءة له حتى أنهن قرأن معي بعضا من رواياته وأعجبن بسلاسة أسلوبه وقصصه لذلك سأحكي لهن هذا المساء قصة الحلم... لكن هل كان الدكتور يعلم أنني سأصير مغرمة بهمنجواي لهذا الحد وأنه سيصير رفيق أحلامي؟

" ثلاث شابات في عنابة "

" الكثير يفهم الحرية تمردا وخروجا عن دائرة الأدب، بينما هي مساحة تُعطى للذات فقط " سيغموند فرويد

Modifier avec WPS Office

كنا أنا وصابين وبلقيس صديقات من أيام الجامعة... في البداية كنا نسكن في الحي الجامعي سيدي عاشور بعنابة في غرف متفرقة، بعدها جمعت بيننا الأيام في مكتبة الجامعة والنادي والمطعم لنصبح من أعز الأ صدقاء... هي حريتنا أو الأصح رغبتنا في التحرر، ذلك النداء في داخل كل واحدة منا هو ما جمع بيننا، منذ أن جمعتنا نقاشات حول كتب فلوبير، زولا، بوكفسكي، تولستوي، ماركس، دوستويفسكي، سارتر، سيمون دي بوفوار، جبران، توفيق الحكيم، جورجي زيدان، نوال السعداوي وغيرهم في المكتبة لم نفترق يوما... الصديق الجيد هو ذلك الذي تلتقيه في المكتبة، وهو أيضا من يلتقي عقله بعقلك وتتعلق روحك بروحه، هو من تحس با لأمان في وجوده...

لقد جمعت بيننا مدينة عنابة أو باريس الصغيرة petite Paris كما يناديها البعض، لنسكن مع بعضنا في نفس الغرفة في آخر سنة جامعية لنا، سنة التخرج... صابين كانت طالبة أدب عربي من ولاية سكيكدة، من أم لبنانية وأب جزائري... على الرغم من أن أم صابين كانت يهودية وأبوها مسلما إلا أن الحب لا يعترف باختلاف المعتقدات،

Modifier avec WPS Office

عرفها عندما كانت طالبة بجامعة قسنطينة وعلى الرغم من معارضة أهله تزوجها... تكلل حبهما بصابين وأخيها الأ صغر الذي لا يزال طالبا ثانويا... من حين لآخر كانت أم صابين تأتي لعنابة لزيارة ابنتها خاصة لما سمعت أنه بعنابة يوجد كنيس لليهود لكنها أصيبت بخيبة أمل... صابين فتاة مليئة بالحيوية وممتلئة الجسم قليلا، ذات بشرة بيضاء على غرار بنات سكيكدة اللاتي عرفتهن في الجامعة أو في عطلاتي التي قضيتها هناك، ذات عينين عسليتين وشعر أسود يميل للون البني، تحب دوما اقتناء سراويل الجينز المريحة مع ال "تي شيرت" والحذاء الرياضي... مولعة بقراءة كتب الأدب والأدب الروسي خاصة...

بلقيس جاءت من ولاية باتنة، تخصصت في الفلسفة وعلى الرغم من أن جامعة قسنطينة كانت أقرب إليها إلا أنها اختارت جامعة عنابة بعيدا عن الأهل الذين يدرسون غالبيتهم في قسنطينة، هي لم تكن تفكر فيما تذهب إليه بعض العقول التي يقف تفكيرها عند -ما يرونه- فسادا لكن لأنها منذ مرحلة الثانوية ومنذ دراسة الفلسفة نحت منحًا يساريا ومن الأنسب أن تبتعد عن الأهل لتمارس قناعاتها من دون ازعاج أو عرقلة... بلقيس ذات قامة طويلة وبشرة مخملية تميل إلى البياض مع عينين سوداوين وشعر قصير... تحب بلقيس في لباسها البساطة

Modifier avec WPS Office

المفرطة حتى أنها تكاد تنفي عن نفسها شيئا اسمه الأنوثة ، وعندما كنت أحاورها في الموضوع كانت تقول أنني أفرط في الاهتمام بأنوثتي (هكذا كان يبدو لها مع أنه روتين عادي لأي أنثى) وهذا جعلني أراها تفقد هذا الجانب، هي لا تحب التنورات والفساتين التي ألبسها خارج وقت العمل أما أنا فكنت أحس أكثر بروح الأنثى عندما ألبسها لأنها اللباس الذي يميز المرأة، حتى الروايات التي قرأتها من التاريخ تصف المرأة دوما بالفستان وكان ولازال وسيظل رمزا للأنوثة مهما صمموا من لباس...لقد كان لباس نساء أوروبا في حقبة تاريخية مهمة هو الفستان الواسع من تحت مع الدانتيل من فوق والقبعة التي تضفي على صاحبتها بهاء ونعومة... بلقيس دوما تقول أنه يجب علينا الاهتمام بقضايا أهم وأن بساطة الملبس تعد من رفيع الذوق... كنت أرى رأيها صائبا في جانب ما لكن ليس لحد التخلي عن إحساس الأنوثة بداخلنا وإلا فنحن بذلك نفرغ طبيعتنا من محتواها، ثم هذا المبدأ ليس عرف الكون ولا قانونا واجب التطبيق ف المظهر انعكاس للنفس لهذا تعجبني النساء اللبنانيات و الفرنسيات في الذوق الرفيع...

كنت من حين لآخر أصطحب البنات معي إلى بيتنا بضواحي مدينة القالة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع خاصة مع التنوع الطبيعي وثراء منطقتنا بالشواطئ

Modifier avec WPS Office

الجميلة والغابات الساحرة... تعرفن أيضا على صديقاتي التونسيات اللاتي كن يزرنني وأزورهن من حين لآخر بمعية أهلي... تونس أقرب إلينا من العاصمة والناس هنا يذهبون إليها يوميا... كانت أمي كلما جاءت البنات معي تطبخ لهن يوم الجمعة طبق الكسكسي بمرق الخضار و اللحم المشهور بمنطقتنا ويوم السبت كان طبق الملوخية بطل القعدة على الغداء حتى صار هذان الطبقان عشقا للبنات... كنا من حين لآخر نخرج لحديقة القالة أو إلى احدى الشواطئ وساعات إلى الغابة... كل هذه الطبيعة تذكرني دوما بهمنجواي وعشقه للمغامرة في البحر وبين الغابات وعلى الجبال...

****

نحن ثلاث فتيات تجمع بيننا الثورة على تقاليد المجتمع البالية والذكورية المقيتة التي جعلت من المرأة ماكينة تنجب وتعمل ليل نهار ليسطع نجم الرجل فيما هي شمعة تذوب لتنير طريق المجد للآخرين... نور الحرية هو من جمع شملنا وصهرنا في روح واحدة... وهو نفس النور الذي جعل مني عاشقة لقصص همنجواي التي كلما قرأتها أجد فيها نفسي، القارئ يرتاح دوما للكاتب الذي يجد في كتاباته عالما مشتركا بينهما، وقد يُشرِكك الكاتب في عالمه عندما يفتح لك عالما جديدا... لهذا كل

Modifier avec WPS Office

كتاب تفتحه هو عالم جديد قد تصعد فيه قمم الجبال وتمر فيه عبر الأنهار وتغامر فوق الأمواج وتسافر في كل أرجاء الدنيا الفسيحة...

قبل التخرج من الجامعة فكرنا في مستقبلنا بعد الحصول على شهادة الليسانس وخرجنا بنتيجة أنه سيكون كمصير كل الفتيات اللاتي سبقننا خاصة أن كل واحدة منا كانت من منطقة نائية من ضواحي المدينة... العودة إلى تلك المناطق كان يعني دفن طموحاتنا والرضا بالقدر المرسوم لكل فتاة: الزواج برجل دون المستوى ممن يحتاجون إلى زوجة جامعية لسد النقص الحاصل في حياتهم أو كبريستيج وطبعا ممنوع عليها العمل لتغدو بعدها عاملة بدون أجر، تكنس وتغسل وتطبخ وتتكاثر... كيف لنا القبول بوضع كهذا؛ نحن من قرأنا لفولتير، فلوبير ، زولا، تولستوي، بوكفسكي، سيمون دي بوفوار، سارتر، ارنست همنجواي وغيرهم، لن تكون الحياة بين الاثنين متكافئة وكل ما يقولونه لإقناع الواحدة منا مجرد وهم عن وليد الفاميلة (ابن العائلة) وقد يكون تفكيره أفضل ممن يحملون شهادات وقد يكون طيب القلب أفضل من المثقف، كل ذلك مجرد حكايا فاشلين ومخادعين معتوهين ذهبت ضحيتهم آلاف الفتيات اللاتي دفعن الثمن لوحدهن...كل هذا جعلنا نفكر في البقاء في عنابة أين نتنفس نوعا من الحرية... اقناع أهلنا لم يكن بالأمر

Modifier avec WPS Office

السهل، لكن نجاحنا في مسابقة الماستر وصعوبة الحصول على وظيفة في مناطق نائية كانت أسبابا قوية في جانب ما لإقناع أهلنا الذين وافقوا بعد أخذ ورد بشروطهم... صحيح أن أهلنا كانوا متعصبين من ناحية سكن المرأة بعيدا عن البيت العائلي لكنهم في جانب آخر كانوا مع أن تكمل المرأة تعليمها وتتحصل على وظيفة تضمن لها حياة كريمة إن فقدت والديها وهذا ما كان في صالحنا، غير أن صابين لم تواجه صعوبة كبيرة مثلنا لأن والدتها اللبنانية ذات الديانة اليهودية كان لها تأثير على قرار زوجها الذي لا يرفض لها طلبا... لا أدري لماذا أمور كهذه أكثر تعقيدا عند المسلمين مع أن زوجة النبي محمد (ص) كانت ذات تجارة يديرها لها رجال ومن بينهم رسول الإسلام محمد (ص) الذي تزوجها فيما بعد وأول ممرضة في التاريخ كانت رفيدة التي كان الرسول يأخذها معه في الحرب لتداوي الرجال؟ فمن أين أتت هذه الأ حكام بحجر المرأة؟

بعد حصولنا على شهادة الليسانس اجتزنا مسابقة توظيف الأساتذة وكانت المحظوظة الوحيدة بيننا بلقيس التي نجحت في افتكاك منصب أستاذة فلسفة في احدى ثانويات عنابة... صابين توظفت أستاذة للأدب العربي في مدرسة خاصة بمساعدة صديق لها والدته تعمل هناك، بينما بقيت أنا أتنقل بين المناصب الشاغرة حتى تحصلت

Modifier avec WPS Office

على منصب ثابت كأستاذة تعليم ثانوي بعد محاولات مع مسابقات التوظيف...

لأنه كان علينا البحث عن سكن، تكلمت مع قريبة لي متزوجة بعنابة من تاجر ميسور، طلبت منها أن تكلمه ليتدبر لنا شقة للكراء بمبلغ معقول مع احدى معارفه لأننا لا نعرف أحدا هناك لأمر كهذا... بعد أيام اتصلت بي قريبتي لتقول لي أنه وجد لنا شقة بحي "جبانة اليهود" (حي مقبرة اليهود) صاحبها مهاجر إلى فرنسا ولا يأتيها إ لا كل ثلاث سنوات تقريبا... في البدء ساعدنا أهلنا بقليل من المال من أجل الكراء وشراء بعض الضروريات وجلبنا معنا بعض الأثاث الخفيف الضروري من منازلنا وبعض أدوات المطبخ لنوفر بعض المصاريف إلى حين قدوم الراتب...

كنت سعيدة ومرتاحة للقرار الذي أخذناه بالبقاء في عنابة جوهرة الشرق الجزائري والمتوسط... الأهم عندي أنني سأكون قريبة من المكتبات العمومية والخاصة وبالأخص باعة الكتب على الرصيف، أبحث عن كتب ارنست همنجواي بكل اللغات، أقرأ له بكل حرية من دون أن أضطر إلى تخبئة الكتاب إذا دخل أحد أفراد العائلة خوفا على مشاعره الذكورية وتجنبا لوجع الرأس الذي يهلك البدن ويعوق النجاح، من أن يفتح صفحة ويقرأ كلمة

Modifier avec WPS Office

حب أو يجد حديثا عن مشروب خاصة أن همنجواي كثير الحديث عن المشروب من عشقه له وادمانه عليه، لا تكاد تقلب صفحة إلا وتجده ذكر مشروبا (براندي، أفسنت، باكاردي، كونياك، ماء الحياة Eau de vie، دايكيري Daiquiri،...)

****

في حي جبانة اليهود cimetière des juifs وُلد وترعرع الكاتب الجزائري ابن عنابة المقيم حاليا بالإمارات "محمد حسين طلبي" صاحب كتاب " جبانة اليهود أقوى من الدمع" يسرد فيه طفولته وجزء من حياته في ذلك الحي الشعبي... ويقول محمد حسين طلبي في آخر الكتاب: " مفارقة عجيبة أن يكون اليهود أبناء عمومتنا وجيراننا منذ القدم، في صف جلادي فرنسا وزبانيتها الذين يفتكون بكل جميل في وطننا، ومع ذلك مازلنا نصر على الاعتزاز بجبانة اليهود حينا الذي يذكر بهم... بل ونسعد دائما بالعيش فيه كأعظم أحياء مدينتنا عنابة، وأكثرها مقاومة وصمودا وابداعا في النضال والتحدي، حتى غدا مضربا للمثل وأسميناه أوراس الثاني ".

اليهود الذين يتكلم عنهم ابن جبانة اليهود فيهم فعلا من تعامل مع المستعمر بشهادة أهل التاريخ، لكنني أعلم أن الثورة الجزائرية شارك فيها أيضا عدد لا بأس به من

Modifier avec WPS Office

اليهود غالبيتهم من الحزب الشيوعي الجزائري على غرار موريس أودان، هنري مايو، فرناند ايفتون، دانيال مين(جميلة عمران) وويليام سبورتيس ابن مدينة قسنطينة وصاحب كتاب "جنان الزيتون" Le camp des oliviers : Parcours d’un communiste algérien والمناضل إميل شمعون والقائمة طويلة وهناك أيضا من دعموا قضيتها من الخارج وفيهم أيضا من يساندون القضية الفلسطينية ويندون بكل مظاهر الظلم فيها وعنابة أنجبت كذلك المغني المعروف يهودي الديانة "سليم الهلالي" عازف الموسيقى الكلاسيكية الأندلسية و المُسمى سابقا سيمون الهلالي... اليهود بشر في النهاية وكل معتنقي الديانات فيهم الصالح والطالح وتبقى الإ نسانية لا دين لها... اليهود حسب ما روي عنهم في غالبهم أتوا إلى عنابة من الأندلس واتخذوا من الكور cour de la révolution مقرا لهم... إذا كانت جبانة اليهود أقوى من الدمع فعنابة أقوى من الطائفية ...

****

كل يوم أخرج فيه متوجهة إلى عملي، أمر بمقبرة اليهود التي يوجد بمحاذاتها مسجد النور، أبقى واقفة أمام هذا المشهد الذي يعبر عن قمة التعايش بين الأديان وأكمل طريقي متمنية أن ينتهي هذا الكره العقائدي الذي

Modifier avec WPS Office

استشرى في المجتمع كالنار في الهشيم... أتوق أن أرى المسيحي والمسلم واليهودي اخوة متحدين على حب الوطن... هذه البلاد تتسع للكل لكن البعض أرادوها ذات ثقافة أحادية بل وتعدوها إلى محاولة فرض فكرهم على الغير وحسابهم وبعث كل من يخالفهم إلى النار...

في هذا الموقف تذكرت حكاية فريدريك اللاديني في رواية "وداعا للسلاح " لارنست همنجواي وكيف كان يخاطب القس الذي كان معهم في الحرب في ايطاليا بتهكم وسخرية وقد كان القس غاية في التسامح لمعرفته بشجاعة الضابط وطيبة قلبه، ارنست همنجواي نفسه عاش في فترة شبابه في باريس وسط مجموعة من الكتاب المختلفين في آرائهم ومعتقداتهم... لكن الصورة السوداوية التي رسمها الخطاب المتعصب عندنا جعلت الفرد لا يتسامح مع الآخر إلا إذا نطق الشهادتين ولو كان سارقا ومرتشيا ومجرما لا يهم فكلها مغفورة لطالما نطق الشهادتين... هل هذا هو الايمان الحقيقي؟ قبل وجود الفكر المتطرف كان الناس أكثر تسامحا مع بعضهم بالرغم من الاختلاف في الديانة... حينما تجلس إلى كهل أو عجوز عايش سنوات الانفتاح الفكري لا تجد فيه هذا الكم من الكراهية حتى أن الكثير من العجائز اللا تي صادفتهن كن يحكين عن علاقة الود والتآخي التي كانت تجمع بينهم وبين المسيحيين واليهود ممن عرفوهم

Modifier avec WPS Office

أو جاوروهم... الآن لا تجد سوى تلك الصورة القاتمة عن ا لآخر... هم يدافعون دوما ويقولون أن المتطرفين لا يمثلون الإسلام فلماذا لا يجدون نفس العذر للآخرين؟

كل هذه السوداوية كنت أنساها ما إن أفتح كتابا لارنست همنجواي الذي يعلمك كيف تعيش الحياة وأنت في عز العاصفة... حينها يخرج من الكتاب نور يضيء دنياي ويحوّل ليلها الحالك إلى نهار مشرق... ف"الشمس تشرق أيضا"...

****

كنت أقضي يومي بين العمل والذهاب إلى مكتبة قصر الثقافة والمكتبة العمومية والمرور على أرصفة باعة الكتب القديمة أما المحاضرات فكنت أسترق من ساعات الفراغ وقتا لحضور محاضرة أو اثنين والباقي أدرسه عن بعد من مواقع الدكاترة على الانترنت وأحصل على المذكرات المكتوبة من الأصدقاء... بين كل هذا كان همنجواي حاضرا معي دوما؛ صرت أمشي في الشارع وأنا أفكر على أي رواية سأشتغل الليلة بالتحليل والنقد، أقرأ له في الباص والبيت والمكتبة والمقهى، على الشاطئ وفي الغابة وفي الجبل لكن بعيدا عن "ثلوج كليمانجارو"... صرت جسدا يعيش في عنابة لكن روحي وعقلي كانا يتنقلان مع بابا إلى كل بلاد زارها، صرت

Modifier avec WPS Office

أتحدث إلى أصدقائه على اختلافهم؛ من ثوريين إلى روائيين ورسامين... أحببت هواياته، كتبت معه، قرأت له ومعه أيضا فهو قارئ عاشق... هو رفيق يقظتي وحلمي... في البداية اعتبرت صابين وبلقيس الأمر مزحة ثم صارت تستهويهن حكايات أحلامي والنقاشات حول كتاباته وأحبت كل واحدة السفر معي في كل حكاية حلم حتى خِلن أنهن في "جنة عدن"...

"جولة في عنابة"

" لا تذهب في رحلة مع شخص لا تحبه " ارنست همنجواي

كنت أجلس لوحدي بمقهى ساحة الثورة cour de la révolutionالذي يناديه العنابيون " الكور"، طلبت

Modifier avec WPS Office

شايا وبعض المكسرات ورحت أستمتع بمذاق الشاي المنعنع مع الجو الجميل ونور الشمس الساطع... الشاي يفتح شهيتي على القراءة وصورة القراءة لا يمكن أن تكتمل في ذهني من دون كوب الشاي بالنعناع...

فتحت هاتفي وغرقت في بحر من الكلمات والمعاني وبينما أنا في برزخي ذاك، سطع نور جعل ضربات قلبي تتسارع في البداية مثل المرة الأولى، لكن قلت في نفسي من غيره يمكنه أن يملأ الأرجاء نورا... إنه هو... نعم إنه بابا... أتى من أجلي... أتى ليرافقني... بابا لا يتركني لوحدي... لقد أحس كم أحبه... نعم لابد أنه أحس بشعلة الحب التي تتقد في داخلي... لكن هل هو حب امرأة لرجل أم قارئة لكاتب؟ لا أدري...

جلس مقابلا لي مبتسما، واثقا من نفسه كعادته لا مبال ومحب للحياة... يلبس نظارته والقبعة ذاتها لكن القميص هذه المرة كان رماديا مفتوح الأزرار العلوية فقط وبقيت بطنه تزين جسمه -هكذا كانت تبدو لي- يقولون أن بطون الرجال تخرج من كثرة الشرب...

- أصبحت أحس وكأنك تخرج من الحكايات التي أقرأها لك يا عزيزي ارنست...
- كنت تقرئين؟
- نعم... قصة "فرانسيس ماكومبر"...

Modifier avec WPS Office

- ولكني لا أرى كتابا بين يديك؟
- على هذه الشاشة...
- ما هذا الجهاز؟
- إنه هاتف...
- ولكنه لا يشبه الهاتف الذي أعرفه؟
- هذا لم يكن على أيامكم... لقد تطورت التكنولوجيا وهذا هاتف ذكي يمكننا القراءة على شاشته...
- القراءة من دون ورق؟ على شاشة؟ تبدو لي كمزحة مملة عزيزتي... عطر الورق شيء آخر...
- صحيح... ولكن لما تغيب الأوراق لا حل لنا غير الشاشة وهي توفر لنا كل ما نحتاجه من كتب ومعلومات وحتى أشرطة وثائقية وتثقيفية... و المباريات والأحداث... وحتى الجرائد التي بين يديك نقرأها هنا بكبسة زر...
- اشتريتها من الكشك المقابل للمقهى... أنا أفضل الورق، أما أنتم يا عزيزتي فإنكم "جيل ضائع" ... إنكم فعلا جيل ضائع...
- الجيل الضائع هو جيلكم من الكتاب والرسامين الذين شاركوا في الحرب العالمية الأولى واجتمعوا

Modifier avec WPS Office

في باريس غالبيتهم...

- في هذا الخصوص، لا شأن لي بهذه العبارة... جيرترود شتاين هي من أطلقها...
- عند الميكانيكي الذي شارك في الحرب بدوره ...
- دعك منهم... فلنطلب مشروبا...
- هنا لا تستطيع سوى طلب القهوة... المقاهي عندنا لا تقدم المشروب مثل باريس وباقي المدن الجميلة في العالم... لكن توجد بالقرب من هنا حانة تقدم المشروب... تستطيع طلب ما تشاء ولكن لا أستطيع الدخول معك...

ذهب للحظات ثم عاد بكيس فيه قناني المشروب... خرجنا من المقهى وجلسنا على كرسي مقابله... أخذ يشرب والناس يمرون ويتعوذون وفيهم من يشتم لكنه لحسن الحظ لم يفهم منهم شيئا سوى علامات الغضب على وجوههم...

- لماذا تبدو علامات الضجر والغضب على وجوه المارة ؟
- دعك منهم... هم هكذا ساخطون دوما...
- هذه المدينة جميلة... تشبه باريس كثيرا في شكل بناياتها وشوارعها...

Modifier avec WPS Office

- نعم... يقولون عنها باريس الصغيرة petite paris... كنا بلدا مستعمرا من قبل فرنسا كما تعلم لمدة قرن واثنين وثلاثين سنة، وقد استغلت إمكانيات وثروات بلدنا لبناء هذه المدن الجميلة، لكن ليس لشعبنا طبعا بل من أجل مستوطنيها... بعد أن تحررنا ومع أن الا ستعمار يظل بشعا لكنه ترك لنا كل هذا المعمار الرائع... وليست عنابة وحدها؛ الجزائر العاصمة، القالة، وهران، سكيكدة، وكثير من المدن الجزائرية مبنية على نفس الطراز المعماري...
- رائع... فعلا رائع... أنا أسمع أيضا المارة يرددون عبارات بالفرنسية منذ أن جلست هنا... يبدو أنها من مخلفات الاستعمار أيضا...
- هذه اللغة قال عنها كاتب جزائري يدعى " كاتب ياسين" أنها غنيمة حرب... تجدها أكثر استعمالا في المدن خاصة تلك التي استوطنها المستعمر ثم انتقلت من جيل إلى جيل وهي أيضا تشكل جزء مهما من لغتنا العامية... أما تلك الحكايا عن لغة المستعمر فلا وجود لا لها في مخيلتي؛ الشعب المصري لم يقل عن الإنجليزية لغة مستعمر واللبناني كذلك لم يعتبر الإنجليزية والفرنسية استعمارا، أنت أمريكي يا بابا وكتبت بالإنجليزية التي هي لغة

Modifier avec WPS Office

الغالبية عندكم مع أن الشعب الأمريكي انصهار لعدة شعوب ولغات ولكن لم نجد عندهم هذا الصراع، وكوبا التي عشتَ بها كانت مستعمرة اسبانية ولغتها الرسمية الاسبانية التي تعد أكثر لغة من حيث الا نتشار اليوم...

- معك حق عزيزتي...

****

قبل أن يثقل في الشرب دعوته لنقوم بجولة في عنابة... استقلينا سيارة تاكسي، طلبت من السائق أن يأخذنا إلى كنيسة القديس أوغسطين Saint Augustin؛ القديس الأمازيغي ابن مدينة سوق أهراس (طاغاست سابقا) الفيلسوف الذي يتربع على عرش قديسي المسيحية في العالم كما رُوي عنه وصاحب كتاب " اعترافات".

حينما وصلنا إلى المكان الذي يعد من أشهر المعالم التاريخية بعنابة، وهو قِبلة مسيحيي المدينة والوافدين إليها زوارا وسياحا... بقينا وقتا أمام الكنيسة ظل يشاهد فيه البناء بكل إعجاب ثم دخلنا نتجول في أرجائها ... مررنا بجانب ضريح القديس أوغسطين ثم عرّجنا إلى محراب مريم العذراء ومصلى يوسف الذي يقولون أنه خطيب مريم ومربي يسوع وتختلف نظرة الأديان و

Modifier avec WPS Office

الطوائف إليه...

- إنها عظمة... عظمة... فعلا عظمة تتجلى هنا...

وأنا أسمعه يتكلم تذكرت أسلوبه في حوار شخصيات قصصه الذين يكررون نفس العبارة أو الكلمة مرتين وأكثر وها هو الآن يتكلم بنفس الأ سلوب حتى أنني صرت مثله أكرر الكلمات و العبارات...

مررنا أمام دار العجزة الموجودة هناك ثم نزلنا مشيا إلى متحف هيبون (تسمية عنابة سابقا خلال الحقبة الرومانية) ذلك المتحف الذي يبرز تعاقب الحضارات على مدينة هيبون التي كانت واحدة من أهم المدن الحضارية في شمال افريقيا في العهد الروماني والفينيقي و النوميدي والوندالي والبيزنطي والإسلامي...

في الداخل وجدنا تماثيل تعود للحقبة الرومانية (تماثيل لآلهة مثل: باكوس إله الخمر الذي شد انتباه ارنست، فينوس إله الحكمة والجمال عند الرومان) ... بقي بابا منبهرا أمام الفسيفساء التي تنطوي عليها جدارية المتحف والتي تحمل بين طياتها ست حضارات متعاقبة... أهم ما شد انتباهه في تلك الجداريات فسيفساء الصيد التي تصور مشهدا لحياة الصيد التي لمعت في المدينة بداية من

Modifier avec WPS Office

القرن الثالث للميلاد؛ كانت الفسيفساء تجسد قاربا عليه ثلاثة صيادين يمسكون بالشباك وحولهم البحر بأسماكه الكبيرة... كان بابا يتأملها بتمعن واعجاب... "لديكم ثروة تاريخية هنا" قال لي... ثم أخذته ليرى فسيفساء أخرى كنت متيقنة أنها ستعجبه؛ الجدارية تجسد منظر أسود ونمور متصارعة من أجل الخلاص داخل حلبة حولها أشكال مختلفة من الحيوانات و البشر في تلك الحقبة... تاه بابا بفكره بعيدا وهو ينظر إليها... يبدو أنه امتلكه الحنين إلى رحلات السفاري التي قام بها إلى أدغال افريقيا، قلت في نفسي...

مررنا بتماثيل عدة مثل تمثال أفروديت، منرفا وهيراقليوس... خرجنا لنتمشى قليلا بباحة المتحف ثم عرجنا على المسرح الروماني أو كما يسمونه الفوروم الروماني... كان المكان يعبر عن عظمة، ثقافة وسحر... جلسنا هناك ورحنا نتأمل المكان في صمت... تخيلت شكل المسرح حينها وهو ملئ بـ الناس والمسرحية تشكل حدثا مهما من دون موبايلا ت ولا شاشات تفسد رونق هذا الفن الراقي... يبدو أن التكنولوجيا مثلما هي مفيدة في جانب ما إلا أنها أفقدت بعض الفنون بريقها وكثيرا من لحظات الحياة رونقها...

Modifier avec WPS Office

في وسط تأملي ذاك سألت نفسي كيف لمدينة تعاقبت عليها حضارات عظيمة بما فيها من فنون وفكر

وتحوي إرثا تاريخيا ومسرحا كهذا يعبر عن عظمة وذوق وأصالة شعوب تعاقبت عليها، هي اليوم تملك مسرحا واحدا لا يزوره سوى النزر القليل من المهتمين بالمسرح ولا يقدم الكثير كأكبر مسرح في المنطقة مع أنه شهد نشاطا مسرحيا مهما في السابق وشارك في مهرجانات وطنية وخارجية؟

وضعت رأسي على صدره، أغمضت عيني وتمنيت أن يتوقف بي الزمن عند هذه اللحظة من الإحساس العارم والنشوة الربانية التي تفيض بها روح الأنثى في دفء الصدر الذي يحلق بها عاليا في سماء العشق...

****

هي لحظات نعيشها بكل حواسنا بعدها ننطلق إلى كل الأمكنة...خرجنا من متحف هيبون وركبنا تاكسي آخر؛ أصحاب التاكسي هنا ليس لديهم الصبر لانتظارك وإذا انتظرك أحدهم يشغل عداد الحساب ليفوق ما تملكه في جيبك وتجد نفسك في ورطة أنت في غنى عنها... تُهنا في شوارع عنابة التي

Modifier avec WPS Office

سماها العرب بهذا الاسم نسبة لأشجار العناب التي تكثر بها، هذه المدينة التي زارها كاتب ياسين ويقولون أنه عشق بها امرأة تدعى "زليخة"... لا أدري إن كانت هي نفسها نجمة؟ هنا أيضا التقى بالكاتب و الفيلسوف ألبير كامو المولود بمندوفي Mondovi (الذرعان حاليا) احدى بلديات ولاية الطارف التي لا تبعد عن عنابة كثيرا...

كانت أسماء الشوارع في غالبيتها عربية وهذا ما جعل همنجواي يتساءل عندما وصلنا إلى شارع ابن باديس:

- ولكنك قلت للسائق أن يتوقف بنا في حي ذكرت اسمه بالفرنسية ولكن على اللافتة مكتوب اسم عربي؟
- إنه حي لاكولون La colonne Randon ... لقد تغيرت أسماء الأحياء بعد الاستقلال من أسماء فرنسية إلى أسماء عربية بقرار حكومي وهذا من باب الوفاء لشهداء الثورة تسمية الشوارع والأحياء عليهم، لكن بقيت الأسماء الفرنسية على لسان السكان ولا أظن أنها ستندثر... لديك مثلا حي ديدوش مراد كان ولازال يدعى La cité des Lauriers roses ، حي النصر Les caroubiers

Modifier avec WPS Office

أين توجد عين الأسير التي تعود للعهد العثماني شيدها أسير أوروبي لتخليص نفسه من الأسر... هناك أيضا حي جبهة التحرير الوطني Les champs de Mars ، حي سيبوس La cité Joannola... الشوارع كذلك: شارع ابن خلدون la rue Gambetta، شارع الأمير عبد القادر la rue Bugeaud، شارع عبد الحميد بن باديس Sadi Carnot، شارع العربي التبسي la rue Bouscarein... والشواطئ أيضا كان لها نصيب من التسميات التي تغيرت: شاطئ Saint-Cloud صار اسمه فلاح رشيد، Chapuis أصبح ريزي اعمر، Toche رفاس زهوان... وهكذا

- معهم حق... أنتم بلد المقاومة والثورة...
- صحيح يا بابا... ثورتنا عظيمة ويبقى من ضحى بنفسه عظيما وغاليا لكن هذه البلاد دافع عنها الكتاب كذلك بأقلامهم والفنانون بفنهم أيضا وبعد الثورة أنجبت كتاب آخرين وشعراء وموسيقيين...

****

نزلنا من السيارة أمام تمثال الغزالة أين بقي ينظر إليه وبقيت أنظر إلى بريق عينيه والشيب الذي زاده جمالا، وقفته وملامح وجهه التي تعبر عن

Modifier avec WPS Office

صفائه الداخلي... وجدت فيه غايتي المنشودة؛ تلك الروح الصافية التي تأخذك إلى عالمها المليء بـ الحياة...

- امرأة جميلة... لا أدري من منهما الغزالة؟
- يا عزيزي هذا تمثال الغزالة يجسد إلهة الصيد وحامية الطفولة عند الاغريق...
- شكله ليس غريبا علي...
- هذا التمثال توجد منه خمس نسخ في العالم: في عنابة، اليونان، إيطاليا، مالطا وفرنسا... أكيد أنك مررت بقربه في احدى هذه المدن...
- ربما...
- بالقرب من هنا توجد قاعة سينما افريقيا بشارع أولمبيا ex cinéma L'Empire ...

دخلنا لنحضر عرضا لأحدث فيلم أمريكي ثم خرجنا وتمشينا في حي لاكولون حتى وصلنا أمام مسجد الفرقان، فسألني عن طبيعة البناء...

- المسجد هو مكان العبادة بالنسبة للمسلمين... هذا البناء كان من قبل كنيسة تدعى la Sainte Anne ثم تم تحويله إلى مسجد... قمنا بجولة داخله بطلب من همنجواي وفضول منه لمعرفة شكل دور عبادة

Modifier avec WPS Office

المسلمين من الداخل...

- بناء جميل... فعلا جميل... شيء مختلف عن الكنائس... يبدو أن الحكومة عندكم توليها اهتماما خاصا...
- هذه المساجد يبنيها المواطنون بعد قيام الجمعيات بلم التبرعات ثم تخضع لقوانين الدولة حماية لها من التطرف، فهي من تسميها وتبعث لها الخطب عن طريق مديرية الشؤون الدينية... وهذه ليست الكنيسة الوحيدة التي تم تحويلها إلى مسجد، هناك كنيسة القديسة تيراز la sainte Thérèse التي أصبحت مسجد أحد...
- هذه المدينة مر بها تنوع ثقافي كبير... جميل... جميل...

****

كم كنت سعيدة وأنا أتمشى إلى جانبه بين أزقة لالة بونة... كنت آخذه فقط إلى الأماكن التي يجد نفسه فيها مرتاحا، تذكرت ميناء الصيد La Grenouillère، أوقفت سيارة تاكسي أقلتنا إلى هناك، عند نزولنا قال لي:

- عزيزتي أنت تختارين الأماكن بدقة وذوق...

Modifier avec WPS Office

- المهم عندي أن تكون مرتاحا...
- أنت منارتي في هذه المدينة الساحرة...

استأجرنا قاربا وقمنا بجولة في عرض البحر مرة أخرى أردتها أن تكون جولة تحررني من أعباء الأرض... بعدها عدنا إلى البر وكانت الشمس قد غابت، دخلنا مطعم لافلومبي La Flambée الذي كان جوه شاعريا خاصة مع لون الستائر وأغلفة الطاولات الأحمر مع الموسيقى الهادئة، طلبنا طبق فواكه البحر بصلصة الصويا والفلفل مع طبق السلطة والعصير الذي لم يرق لبابا فقام بإخراج قنينة نبيذ أخرى اقتناها ونحن نتجول... كان يأكل بشراهة، لابد أن الطبق أعجبه و الجولة أيضا كانت متعبة مع أننا استمتعنا...

- أنت ذواق للأكل يا بابا...
- وهل هناك أفضل من وجبة كهذه مع النبيذ... النبيذ عزيزتي...
- أنت تهذي به الآن كما كنت تهذي به في كتاباتك...
- لا تبالغي...
- لست أبالغ... لا أكاد أقرأ سطرين إلا وأجد شرابا مذكورا... لكن لا أدري إن أعجبك هذا؟
- سابقا كنت أحبذ الروم، الأبسنت، الباكاردي،

Modifier avec WPS Office

الدايكيري... هل هي موجودة عندكم؟

- لا أدري... ربما تكون موجودة لكننا نحن النساء لا ندخل الحانات كما قلت لك... إنه بلد مسلم...

خرجنا نتجول ليلا بشوارع لالة بونة التي كانت تجعله يحس كأنه في باريس حتى وصلنا إلى منارة راس الحمراء وبقينا هناك نستمتع بهدوء المكان...

****

- بريت آشلي...

أيقظني صوت صابين وهي تردد اسم بطلة رواية "الشمس تشرق أيضا" بصوت عال، فتحت عيني فوجدتها تحمل الرواية وإلى جانبها بلقيس وصونيا آيت عامر؛ صديقة لنا من أيام الجامعة وخريجة أدب عربي تسكن بعنابة...

نهضت من مكاني بصعوبة بعد ظهيرة حالمة إلى المساء، فيما كانت البنات يتناقشن حول الرواية وهمنجواي ذهبت لأصب الماء على وجهي لعلي أنتعش وأستفيق قليلا من سكرة الحلم... وأنا متجهة إلى المطبخ لتحضير العشاء قالت لي بلقيس:

- لا تقلقي نفسك... لقد جلبت لنا صونيا سندويشات ف لافل وكبة وسلاطة من عند مطعم داوود باشا

Modifier avec WPS Office

الشرقي...

- من الغرب إلى الشرق...
- ماذا تقصدين؟ سألت صونيا...
- كنت أتناول فواكه البحر مع همنجواي...
- لك الحظ يا صونيا ... ستستمتعين بحكايات حلم ثريا مع همنجواي... قالت بلقيس... أنا كنت مستمتعة بالأكلات الشرقية اللذيذة... هذه المرة كنت أحكي عن حلمي وكأنه حقيقة لأنه جعل البنات يرين عنابة بشكل مختلف... كلنا قد نزور نفس المكان أو نسكن نفس المدينة، لكن لا يمكننا أن نراها بعين واحد وروح واحدة على الأصح، لهذا رأيت إيطاليا مختلفة في رواية "وداعا للسلاح" وفرنسا مختلفة في روايات الكتاب الفرنسيين وغير الفرنسيين ونيويورك ليست كما أراها في التلفاز بل أجمل في روايات دانيال ستيل وميسو غيوم، هافانا كانت مختلفة مع ياسمينة خضرة عنها في روايات همنجواي، حتى صحراء الجزائر كان لها سحر آخر بين ثنايا كتب ايزابيل ايبرهاردت... أما باريس فقد كتب عنها الكثيرون حول العالم، حتى أن همنجواي خصص لها رواية كاملة...

بعد سهرة رائعة، ثرية بالنقاش وبالحكايا عن

Modifier avec WPS Office

همنجواي، غادرت صونيا بعد أن أخذت رواية "باريس... وليمة متنقلة" ...

"في باريس"

"إذا واتاك الحظ بما فيه الكفاية لتعيش في باريس وأنت شاب، فإن ذكراها ستبقى معك أينما ذهبت طوال حياتك، لأن باريس وليمة متنقلة"

ارنست همنجواي

استيقظت صباحا على نور الضوء المتسلل من خلال النافذة، التفت إليه فوجدته ممددا إلى جانبي، عاريا من كل شيء إلا من نعومته وسحره، لكنه يبدو وكأنه شاب وليس ذلك الذي ركبت معه الأمواج وتجولت معه في شوارع عنابة... عادت إلى ذاكرتي الصور التي شاهدتها على الفضاء الأزرق... نهضت من

Modifier avec WPS Office

مكاني وفتحت النافذة لأرى أين نحن... غمرني إحساس بالسعادة العارمة وأنا أكتشف مدينة النور... عدت إلى مكاني بجانبه، كان لا يزال نائما، وضعت رأسي على صدره ورحت أستمع إلى نبضات قلبه... أي دم هذا الذي يسري في عروقك يا همنجواي؟ هل هو دم الرجل الأمريكي المغامر أم دم الكوبي الثائر؟

أي جسد هذا الذي تمتزج فيه الغواية برائحة الرجولة التي تسلبنا عقولنا نحن النساء فتشتعل فينا تلك الطاقة التي تجعل الواحدة منا تسيل شلالا من الأنوثة العسلية... صدر يشكل عالما لوحده... نعم هو يريد أن يقول للواحدة منا عالمك الحقيقي هنا على هذا الصدر لتصبح بعدها هي كذلك عالمه ومصدر إلهامه بعد انصهارهما في جسد وروح واحدة...

صعدت قليلا إلى رقبته، قبلتها بلطف ورقة، أفاق من نومه ومن دون أن يكلمني تهنا في عالم من الجنون...

****

نهضنا من السرير وتناولنا طعام الإفطار؛ هو اكتفى بقهوته الصباحية أما أنا فقد أضفت إلى قهوتي بعض الحليب وتناولتها مع الخبز بالمربى وبعض الفاكهة... لست أدري من أين أتت له كل تلك الأغذية

Modifier avec WPS Office

فهو في باريس يعاني من ضائقة مالية معظم الوقت حتى أنه اعتبر الجوع نوعا من التهذيب الجيد... يبدو أنه تلقى أجرا عن قصصه التي ينشرها من حين لآخر في المجلات الأمريكية... لكن هادلي زوجته الأولى في باريس لم تكن فقيرة كذلك...

اتجهت صوب النافذة وبقيت أتأمل شارع كاردينال لوموان الواقع بالحي اللاتيني بباريس الذي يقيم فيه ارنست مع هادلي وقد أخبرني أنها مسافرة مع ابنهما... جالت حينها أفكار كثيرة وتساؤلات في رأسي... هل خان بابا زوجته؟ لقد تزوج بعد طلاقه منها ثلاث مرات، هل هذا يعني أنه لا يحب البقاء مع امرأة واحدة؟

كان البرد شديدا جعلني أغلق النافذة وخاصة أنني غير متعودة على هذا الجو القارص... طلب مني أن نخرج لنتجول وقد لبس معطفه وقبعته التي تزيده جاذبية...

تمشينا على رصيف نهر السين طويلا ولم أتوقف عن الحديث إليه وسؤاله عن الأمكنة، كان مبتسما وهو يجيبني كل مرة ومع ذلك كنت أخشى أن يمل من كثرة أسئلتي وثرثرتي ولكن كان يبتسم أكثر كلما ناديته باسم "تاتي" مثلما كانت تسميه هادلي؛ ليس تقليدا لها ولكن الاسم كان سلسا وجميلا والأهم يعبر عن حب ود

Modifier avec WPS Office

لال... مررنا على أكشاك باعة الكتب العتيقة ثم عرجنا إلى مقهى كلوزري دي ليلا Closerie des Lilas أين طلب شراب الروم سانت جايمس، كانت أول مرة أتذوق فيها مشروبا، كان ذوقه قويا لكن بعد لحظات أحسست بالدفء وسط الجو الباريسي البارد، بعد أن شربت الكأس الثانية أحسست بمفعولها بدأ يظهر حينما أخرجت مذكرتي وبدأت أدون هذه اللحظات المهمة من حياتي، بالمقابل كان هو كعادته يشرب ويكتب لكن لم أكن أدري عما كان يكتب... هل هو يدون اسمي في مذكراته؟ يا له من حلم؟

هذا الروم ملهم بالفعل... لا أدري لماذا تذكرت حينها مقطعا من روايته "باريس وليمة متنقلة": "كانت القصة تكتب نفسها

وكنت أجد صعوبة في مجاراتها".

بعد استغراق وقت طويل في الكتابة، وضعت القلم و المذكرة على جنب وتنهدت... نظر إليّ قائلا:" لا تقلقي... كنت تكتبين من قبل وستكتبين الآن، كل ما عليك هو أن تكتبي جملة حقيقية واحدة، أكتبي أصدق جملة تعرفينها"... لا أدري أين قرأت هذا الكلام؟ ... نعم، إنه حديثه إلى نفسه في روايته عن أيامه في باريس... واصل حديثه قائلا: "إذا بدأتُ الكتابة بتكلف أو كمن يمهّد

Modifier avec WPS Office

لتقديم شيء ما، شعرتُ بأن عليّ أن أحذف الزخرفات و المقدمات والالتواءات اللفظية وأرمي بها بعيدا، لأبدأ بأول جملة خبرية حقيقية بسيطة كتبتها". درس جيد لمن يريد كتابة رواية... نعم، لقد قررت أن أكتب عنه رواية وهذا أول درس منه هو شخصيا: البساطة في الأ سلوب، لا تكلف ولا اصطناع ولا زخرف يبعد القارئ عن الفكرة ويجعله يلهث وراء شكل النص...

- لهذا القراء حول العالم يعشقون كتاباتك يا تاتي... هي بسيطة في أسلوبها وحقيقية من دون تكلف أو اصطناع... روحك موجودة في نصوصك، تحط في نفس القارئ فيسافر معك حيثما سافرت ويفكر مثلما فكرت ويحب مثلما أحببت ويستمتع بالحياة مثلما استمتعت...
- أنت أيضا تريدين القول أنني أكتب عن نفسي؟
- أعرف أنك لا تحب أن يقول أحد أنك تكتب عن ارنست همنجواي ولكنني وجدت تشابها يصل أحيانا حد التطابق بين حياة شخصيات رواياتك وبين حياتك...
- فليذهبوا إلى الجحيم... دعينا نطلب غداء ومشروبا...

طلب محارات مع شراب الأفسنت، كان الأكل

Modifier avec WPS Office

والشرب بالنسبة له هواية وعشقا ربما أغلى من الكتابة...

بعدها خرجنا من المطعم متجهين إلى حديقة لوكسمبورغ أين استنشقنا الهواء النقي ثم توجهنا إلى متحف لوكسمبورغ لمشاهدة اللوحات الفنية العظيمة ل: سيزان وماني ومونييه وغيرهم ممن كلمني عنهم تاتي... بعد الخروج من المتحف دخلنا إلى مقهى أين طلب الكونياك وقهوة لي فضلتها لأ ننني لست متعودة على الشرب كثيرا مثله... كلما رأيته يشرب تدور في ذهني أسئلة كثيرة عن الحلال والحرام ولا أدري أيها أصح؟

عرجنا إلى مكتبة شكسبير أند كومباني Shekspeare and company الواقعة بساحة الأ وديون أين كان تاتي يستعير الكتب من عند مالكتها سيلفيا بيتش حيث كانت ضائقته المالية تمنعه من شراء الكثير من الكتب التي يهوى قراءتها...

عندما وصلنا استقبلتنا سيلفيا بيتش بثغر باسم وسمحت لنا باستعارة ما نشاء من الكتب... أخذ تاتي الكثير من كتب الأدب الروسي الذي يعشقه حتى أنه كتب عنه في رواية "باريس وليمة متنقلة" قائلا:
"منذ اليوم الذي عثرت فيه على مكتبة سيلفيا

Modifier avec WPS Office

بيتش، استطعت أن أقرأ كل أعمال تورجنيف وما نشر بالإنجليزية من أعمال غوغول وترجمات كونستانس لأعمال تولستوي، والترجمات الإنجليزية لمؤلفات تشيخوف. أخبروني في تورنتو، قبل أن آتي إلى باريس، أن كاترين مانسفيلد تكتب القصة القصيرة جدًا، وحتى لأنها كاتبة عظيمة، ولكن عندما حاولت قراءتها بعد تشيخوف وجدتها مثل سماع حكايات مصطنعة بعناية ترويها عانس بـ المقارنة مع قصص طبيب عارف بليغ يكتب ببساطة وروعة. كانت مانسفيلد مثل شبه بيرة، وكان من الأفضل في تلك الحالة شرب الماء. بيْد أن تشيخوف لم يكن يشبه الماء في شيء غير الصفاء. وكانت قصصه تبدو مجرد قصص صحفية ولكن له قصصا رائعة كذلك... أما دوستويفسكي فتوجد في كتاباته أشياء قابلة للتصديق ولا تُصدق، ولكن بعضها حقيقي لدرجة أنها تغيّرك وأنت تقرأها، فتتعرف فيها على الضعف والجنون، والشر و القداسة، وجنون القمار... كما تتعرف على الطبيعة والطرقات في مؤلفات تورجنيف، وتحركات الجيوش والجنود والحرب في مصنفات تولستوي... لقد جعل تولستوي من كتابات "ستيفن كرين" عن الحرب الأهلية الأمريكية تبدو كأنها تخيلات لامعة

Modifier avec WPS Office

لطفل مريض لم ير الحرب قط ولكنه قرأ عن المعارك في كتب التاريخ، وشاهد صور "برادي" الفوتوغرافية التي كنت قد رأيتها في بيت جدي وجدتي...

أما في الليل فكان في ميسورك أن تعيش في عالم رائع منحه لك الأدباء الروس. كان المانح في البداية الأدباء الروس ثم أضحى الجميع فيما بعد... ولكن لوقت طويل كان الروس فقط".

مع ذلك لم يكن رفيقه إزرا باوند Ezra Pound الشاعر والناقد الأمريكي عاشقا للروس ونصحه ذات يوم قائلا: **"تمسّك بالفرنسيين، فهناك الكثير لتتعلمه منهم".**

****

خرجنا من مكتبة سيلفيا بيتش متجهين نحو منزل جيرترود شتاين الكاتبة الألمانية اليهودية التي وصفها قائلا: **"الآنسة شتاين ضخمة وممتلئة الجسم ولكنها ليست طويلة، كامرأة فلاح، فلها عينان جميلتان ووجه يهودي ألماني".**

استقبلتنا الآنسة شتاين في بيتها الأنيق فهي كانت أفضل حالا من تاتي ماديا... قدمت له نبيذا فاخرا ولي شايا طلبته بدل النبيذ... دار بينها وبين ارنست حوار

Modifier avec WPS Office

حول الفنانين والكتاب ومن حديثها لم تكن راضية عن الكثيرين وأخذت تهاجم المثليين، كان الحديث بينهما فهي لا تتحدث إلى الزوجات ولم أفهم ما هذا التمييز الذي اختلقته هي أم غيرها... ماذا كان يعني أن تتحدث هي إلى الكاتب وتتحدث رفيقتها مع هادلي؟ أ لا تعلم هذه الكاتبة بوجود زوجات كاتبات... لم تكن لطيفة مثل سيلفيا بيتش ومع ذلك فهي قوية ومغرورة –هكذا بدت لي- شعرت بالتعب فطلبت منه العودة إلى الشقة... في الطريق أخبرني أنها صديقته المقربة وهي كاتبة جيدة وأنه يستند عليها كثيرا في باريس وقد زارتهما هو وهادلي في شقتهما بشارع كاردينال لوموان وكان بينهما ود متبادل هي وزوجته... لكن ما أعرفه أن علاقتهما هي وتاتي انقطعت بعدها... مع ذلك لقد أثار فضولي للقراءة لها، مهما يكن امرأة قوية الشخصية كتلك من المنطقي أن يكون لديها شيء مهم للقراءة...

****

في باريس أحسست بمعنى الحرية وتعلمت أن أعيش حياتي خاصة أن همنجواي كان بجانبي... كنا نتجول يوميا في شوارع باريس وخاصة ساحة كونتر اسكارب عندما كنا في شقة كاردينال لوموان ومقهى بستان الليلك كانا أكثر ما يرتاده عندما انتقلنا إلى شقة

Modifier avec WPS Office

أخرى في نوتردام دي شامب Notre dame des champs...

في باريس وجدت الذوق الرفيع الذي لطالما قرأت عنه وشاهدته على الشاشة... كان ارنست يحب المراهنة على سباق الخيول رغم ضائقته المالية ويهوى سباقات الدراجات النارية التي كانت جديدة بالنسبة لي وممتعة في آن معا، فأنا لم أحضر سباقات كهذه عن قرب من قبل... ذهبت معه إلى سويسرا والنمسا للتزلج على الجليد، حضرت مباريات الملاكمة التي كان طرفا فيها ولعبة الورق... كنت جد مستمتعة بالحياة الجديدة التي دخلتها مع تاتي، أول مرة أشعر أن لي حياة صاخبة... قبلا كان لدي صخب الأفكار وكنت أظنه الحياة لكنني كنت مخطئة فالأفكار وحدها لا تكفي إن لم يصاحبها صخب الحياة...

التقينا ذات يوم بجيمس جويس صاحب رائعة "يوليس"، كاتب بريطاني رائع، لكنه لم يكن بصحة جيدة فغادر المطعم بعد وقت قصير... ذهبنا أيضا عند إزرا باوند صاحب فكرة صندوق الأدب وسكوت فيتزجيرالد صديقه المقرب الذي قرأت لارنست أربع رسائل موجهة له تنم عن صداقة حقيقية، وقابلنا بيكاسو والكثير من الأدباء والفنانين من الزمن الجميل

Modifier avec WPS Office

في باريس... تذكرت كُتّاب باريس حينها وعرفت حقا من أين تستمد هذه العاصمة نورها حتى ولو كانت جميع مصابيح العالم مطفأة...

****

فتحت عيني وقد كان الحاسوب لا يزال مفتوحا على رواية "باريس وليمة متنقلة" بعد أن أعطيت النسخة الورقية لصونيا... لقد كانت الساعة الثالثة بعد منتصف النهار... هذه المرة لم أكن نائمة، لقد كان حلم يقظة... بعد قراءة وتحليل للرواية رحت أتخيل أنني جزء منها...

رحت أكمل الجزء المتبقي من عملي حتى وصل وقت العشاء فذهبت إلى المطبخ وقمت بوضع شرائح سكالوب مع بعض الخضر في ورق الطهي وقمت برش قليل من التوابل الصحية وزيت الزيتون عليها وتركتها تُطهى في درجة حرارة معتدلة في الفرن... بعد أن صار الطبق جاهزا كانت صابين قد حضرت السلطة وأعدت طاولة الأكل التي اجتمعنا عليها كما كل ليلة... العشاء مع الصديقات له دفء خاص، خاصة لما تكون الروح واحدة... لقد رفضنا فكرة إقامة علاقات مع أي رجل منذ أن وعينا بالوسخ الذي يحملونه في رؤوسهم وقد كان الموت أهون على الواحدة منا من أن تقيم علاقة

Modifier avec WPS Office

مع شاب يعتبرها نزوة ليتزوج بعدها من بنت العائلة، تلك التي يراها شريفة فقط لأنه لا يعرف ماضيها مع أن المشاعر التي تعتري المرأة نابعة من طبيعة المرأة التي شأنها شأن الرجل ولكنهم لا يحاسبون سوى المرأة في إلغاء منهم لكيانها كإنسان...

قالت لي بلقيس فجأة:

- كاتبك المفضل يا ثريا كان ذكوريا أيضا حسب ما قرأت عنه في بعض المقالات...
- يقولون ظلم المرأة في جانب ما لكن حسب العقليات السائدة آنذاك...
- ولكنه لم يظلم نفسه... قالت صابين
- صحيح... لكنه لم يكن بذلك القدر من الظلم الذي ذركتُنّه... يكفي انصافه للشابة ماريا في قصته عن الحرب الأهلية الاسبانية بالحب الذي نالته من الضابط بعد الاغتصاب الذي تعرضت له... وحتى العجوز بيلار التي كان الجميع يراها بشعة رد لها الا عتبار في فقرات من الرواية عن ذكائها وقوتها وجمالها الداخلي...
- لكن كزوج ومع حبه لزوجته الأولى هادلي عرف عليها الكاتبة والصحفية بولين بفيفر وتزوجها بعد ط

Modifier avec WPS Office

لاقه من هادلي بعد اكتشافها لقصتهما... قالت صابين...

- فعلا، سأقرأ لكنّ مقطعًا من الوليمة المتنقلة يقول فيه: **"وقبل مجيء هؤلاء الأغنياء، كان قد تسلل إلينا شخص**

غنيٌ آخر مستخدما أقدم حيلة معروفة. لقد كان ذلك الشخص الغني في صورة امرأة شابة غير متزوجة أصبحت بصورة مؤقتة صديقة حميمة لا مرأة شابة أخرى متزوجة، وأخذت تعيش مع الزوج والزوجة، ثم بصورة عفوية بريئة عملت بلا هوادة ل لاقتران بالزوج. وعندما يكون الزوج كاتبا ويقوم بعمل صعب يستغرق جلّ وقته ولا يستطيع أن يكون رفيقا أو شريكا جيدا لزوجته معظم اليوم، فإن ذلك الترتيب له فوائده حتى تدرك الغرض منه. فالزوج تحيط به فتاتان جذابتان عندما ينتهي من عمله، وإحداهما غريبة وجديدة، وإذا كان سيء الحظ فإنه سيحبهما معا".

- أن يعطي الزوج لنفسه الحق في معرفة أخرى؛ ولا أقصد همنجواي بالتحديد، ويجد لنفسه المبررات بينما لا يجدها للمرأة فهذا هو التمييز وهنا تتجلى الذكورية أكثر...

Modifier avec WPS Office

- أنت محقة يا بلقيس في هذا الجانب، لكن المرأة ملهمة للرجل في جل جوانب الحياة والفكر خاصة وفي رأيي على قد ما تزوج همنجواي وعرف نساء على قد ما كان لديه الالهام الكافي والشبع الروحي و العاطفة المتقدة ليخرج أروع ما في جعبته...
- كل ما أذكره من روايات همنجواي قصة "مسألة مقاييس" قالت صابين ضاحكة...
- هي جزء من رواية وليست قصة لوحدها... بعدها رحنا نضحك على حكاية المقاييس التي أنستنا مرارة ما كنا فيه، ومع ذلك نحن لم نفقد الأمل لأن هذه الأرض أنجبت عقولا نيرة مع أنها تكاد تكون نادرة ولكنها موجودة...

****

ركبت الحافلة متجهة إلى الثانوية أين ينتظرني طلبتي من قسم اللغات والآداب، درس اليوم سيكون تحليلا لقصة "اللامهزوم" من مجموعة همنجواي القصصية "رجال بلا نساء"، طلبتي دوما ينتظرون حصة اللغة الفرنسية التي يقولون أنهم يجدون فيها متعة في التحليل والنقد والنقاش والتعبير، والأهم اكتشاف عوالم جديدة خاصة ...

في خضم كل ذلك كنت أشتغل على مذكرتي

Modifier avec WPS Office

دوما ولقيت دعما من الدكاترة في القسم الذين كانوا يحترمون مواظبتي على القراءة وعلى اهتمامي بدراستي وطموحي المتنامي... صابين كذلك كان وقتها مقسما بين العمل وتحضير مذكرة الماستر الخاصة بها حول تقنيات السرد في رواية "الحالم" للكاتب الجزائري سمير قسيمي... أما بلقيس، فإلى جانب الثورة التي تتأجج بداخلها بسبب ما حولها من مظاهر الظلم والقهر ومشاركتها في كل مظاهرة تندد بالفساد، فلم تتخلى يوما عن حلمها بأن تكمل مذكرتها عن الشيوعية في بلاد الإسلام وترتقي إلى أستاذة جامعة مع وفائها لليسار... هم هكذا دوما اليساريون؛ قضاياهم عادلة لكنها دوما تتكلل بالفشل ولا ندري ما السبب الحقيقي؟

بين هذا وذاك، كنا أنا والبنات نجد لنا وقتا نسرق فيه بعضا من الحياة أحيانا حتى "عبر النهر وبين الأشجار" أو مع "سيول الر بيع"...

"إسبانيا... ومصارعة الثيران"

"ما أعرفه هو أن الفعل الأخلاقي هو الذي تحس بعده بالراحة وغير الأخلاقي هو ما تحس بعده بعدم الراحة" ارنست همنجواي

Modifier avec WPS Office

كان بابا يصرخ بحماس "أولي... أولي... أولي..." فيما كنت أحس بدوران وصداع في رأسي من هتافات الجماهير العالية... في الأسفل كان الثور في جهة والماتادور في جهة ممسكا الكاب الأحمر... كان الماتادور مراوغا جيدا، جعل الثور يدور حول نفسه مرات عديدة إلى أن أُنهكت قواه، ومن حين لآ خر كان يطلق أنفاسه من منخاريه بقوة تعبر عن مدى بأس هذا الحيوان الضخم، كنت أراه غالبا مطأطأ الرأس مستعدا لمهاجمة الرجل الذي أمامه و الذي لم يترك له فرصة للإطاحة به خاصة أن مرافقيه كانوا يخرجون في كل مرة لتشتيت انتباه الثور حتى لا يتمكن من رفيقهم...

كان الماتادور بلباس المصارعين الاسباني الشهير بلون أحمر يشبه في تطريزه اللباس التقليدي عندنا، ضخما قوي البنية أسمر البشرة... يبدو أن المصارع كان يحظى بشعبية كبيرة عند الجمهور الذي ظل يهتف باسمه "خوليو... خوليو... أولي... أولي..."

ما إن رأيت الدم في جسد الثور حتى أصابني

Modifier avec WPS Office

الغثيان

وطلبت من بابا أن نخرج لكن يبدو أنه لم يسمعني... حماسه لهذه المصارعة المسماة في اسبانيا Corrida de Toros كان غير عادي... لا أدري ما الذي يجعله يعشق هذه الرياضة الدموية؟ قلت في نفسي مشمئزة...

حاولت أن أهدأ من روعي، تنفست بعمق ثم التقطت صورا بهاتفي للحاضرين من الشعب وكبار الشخصيات ومختلف السياح ولهذه المناظر الدامية لأكتب عنها لاحقا كما يجب... لقد كنت ضد تعذيب حيوان بهذا الشكل...

بعد انتهاء المباراة بمصرع الثور، خرجنا من حلبة لاس فينتاس La Plaza De Las Ventas بمدريد وجهة الكثير من السياح حول العالم بقاعة ضخمة وتصميم ذي طراز عال وامكانيات مادية هائلة مخصصة لهذه الرياضة، صادفنا بائعوا الصور التذكارية والتحف الأثرية واللباس التقليدي، اكتفيت بشراء بعض التحف الأثرية بينما اشترى ارنست لباس المصارعين أزرق اللون ومطرزا بشكل مذهل وبعض الصور التذكارية... بمحاذاة الحلبة كانت هناك تماثيل للثيران وللمصارعين أيضا، بقي بابا يحملق

Modifier avec WPS Office

فيها مدة من الزمن رفقة جمهور كبير... هذه اللعبة تحتل مكانة كبيرة في اسبانيا خاصة أنها مهدها الأ ول، لدرجة اعتبار الفائز في المصارعة بطلا قوميا ويحظى بتكريم فريد من نوعه ومرتبة عالية بين مواطنيه والمباراة يحضرها حتى ملك اسبانيا في بعض المناسبات...

بعد مشهد الدماء لم تكن لدي الرغبة في تناول شيء عكس بابا الذي كانت تبدو عليه علامات السرور و الرّضى التي تفتح الشهية، فتوجهنا إلى مطعم لاس فينتاس المحاذي للحلبة... المكان كان جميلا وراقيا وكانت هناك أيضا صور على الجدران لمصارعي الثيران وتماثيل لرؤوسها معلقة في كل جهة من المطعم ورسومات تجسد اللعبة... طلب بابا بعض المشويات التي لم أشأ تذوقها خاصة بعدما قرأت على احدى المواقع أن لحم الثور الملطخ بالدم يتم توجيهه نحو المسلخ ومن ثم للبيع، لهذا اكتفيت بطلب مشروب مهدئ بينما شهية بابا كانت مفتوحة على الشواء واحتسى معها النبيذ قائلا:

- لقد كان خوليو مصارعا قويا... قويا... قويا جدا...
- هل أنت جاد يا بابا؟
- نعم عزيزتي ولم لا أكون جادا؟ الثور كان... قاطعته:

Modifier avec WPS Office

- الثور المسكين تم قتله بدون رحمة... كيف تعجبكم رياضة يُقتل فيها الحيوان؟
- ربما لست متعودة عزيزتي... عندما تتعودين ستجدينها ممتعة... ممتعة بحق...
- لا أتصور أن يأتي يوم أستمتع فيه بمقتل كائن مهما كان... صمتت ورحت أفكر...
- فيما تفكرين لدرجة تبدين فيها حزينة؟
- لقد عاد إلى ذاكرتي منظر الثور وهم يغرزون السيف في رقبته دون شفقة...
- لو لم يغرز الماتادور السيف، كان الثور سيغرز قرنه في صدره أو بطنه...
- كلاهما مر... القتل سواء للإنسان أو الحيوان مؤلم... ثم كيف يوجهون لحم حيوان مقتول إلى الاستهلاك؟ كمن يوجه لحم بشر مقتول للبيع... إنه أمر فظيع... فظيع جدا يا بابا...
- هوني عليك عزيزتي... تبقى مجرد مباراة هناك من يستمتع بها وهناك من يعارضها...
- أتعرف أن منظمات حقوق الحيوان والشعوب كذلك تعارضها لما نجم عنها من خسائر في الأرواح... لهذا دعنا منها ولنستمتع بأشياء أخرى...

Modifier avec WPS Office

قمنا بجولة في شوارع مدريد أين استوقفنا مشهد لغجرية ترقص الفلامنكو، كانت رشيقة في حركاتها جذابة في ملامحها وفستانها المميز... قادتنا قدمانا إلى متحف برادو، المتاحف وجهتي المفضلة في أي بلد، كان بناء ذا ذوق رفيع وعظمة، يضم لوحات لأشهر الفنانين عبر التاريخ، تهنا بين الآلاف منها ومن التماثيل والمجوهرات والقطع الأثرية النادرة... في هذا المكان عادت لي الروح، تلك الروح العاشقة للتاريخ والفكر والأدب والفن، ما جعلني أقف وقفة تأملية طويلة أمام لوحة "جنة المتع الأرضية" للرسام الهولندي الأصل "هيرونيموس بوس"...

كانت اللوحة تجسد الجنة والنار يتوسطهما مشهد يصور ترف الحياة ومباهجها... تأملاتي كانت مزيجا من اعجاب بجمال التصوير وتساؤلات عن الوجود: إذا سلمنا بالأبد فهل هناك وجود للأزل اللامتناهي؟ من أين البداية؟ ما علة الثواب والعقاب؟ ما علة الا ختبار؟ وغيرها الكثير من الأسئلة التي لم تبارح ذهني يوما وها هي اليوم تعود أمام هذه التحفة الفنية لكن لحد الآن لم أجد لها إجابة... هل

Modifier avec WPS Office

همنجواي له نفس الشكوك؟ لا أريد أن أسأله، لكن في قصصه كانت هناك دوما تلميحات ضمنية وحده القارئ المفكر من يفهمها وكما يقول جون لوك: "القراءة تمدنا بلوازم المعرفة أما التفكير فيجعلنا نملك ما نقرأ"...

ونحن بين أحضان اسبانيا تذكرت الحرب الأهلية التي قام بها الجنرال فرانكو ضد الشيوعيين الذين كانوا من أنصار الجمهورية التي تقوم على مبدأ العدالة الا جتماعية وتداول السلطة وانتهت الحرب التي دامت ثلا ث سنوات بفوز الجنرال فرانكو وبقاء النظام الملكي...

- فيما تفكرين مجددا؟
- في مشاركتك في الحرب الأهلية الاسبانية...
- كان عملي صحفيا...
- أنا كذلك أحب قراءة التاريخ من الرواية فكاتب الأ دب شاهد عيان وحقيقي وهو الشاهد الفعلي على عصره يحكيه كما لم يحكه أحد ولا أفضل منك حكى عن الحرب... المؤرخ يكتب عن الأحداث لكن الروائي ينقل الإحساس...
- لا تبالغي... بالنسبة لي تولستوي هو أفضل من تكلم

Modifier avec WPS Office

عن الحرب...

- أعرف مدى حبك للروس لكن التجربة مهمة وأنت عشتها عن قرب... وأحببت فيها ممرضة كذلك...
- ..... كان صمته يوحي وكأنه يستعيد الذكريات...
- وكانت زوجتك الشقراء مارتا جيلهورن رفيقة لك في تغطية المعارك على الجبهة الروسية... لقد أعجبتني حيويتها وشجاعتها...
- أما أنا وبالرغم من حبي لها فقد سئمت طول غيابها بسبب عملها ذاك...
- ولكنك كنت تقوم بنفس الشيء... لا أحب أن أراك ذكوريا يا بابا...
- هذه ليست ذكورية عزيزتي... كنت أشتاق إليها... كنت فعلا مشتاقا...
- واشتقت للأخريات كذلك؟
- كل واحدة وزمنها وظروفها عزيزتي... دعك منهن وقولي لي ماذا كنت تقرئين عندما كنا في العربة؟
- قرأت قصة "تحت سفح الجبل" وحزنت على مآل الفتى باكو... صدقني يا بابا، الحرب قذرة مهما كانت

Modifier avec WPS Office

الأسباب...

- بعض القضايا حلها الحرب...
- أنا لا أرى أي حل في منظر الدماء والقتلى والخراب الذي يصيب البلدان... هذه الحروب تقوم بها الشعوب ويستفيد منها الساسة...
- يبدو أنك تتوقين للسلام...
- وهل يوجد أفضل منه؟
- هذا المشروب...
- كم أنت مغرم بمشروبك...
- المشروب شكل من أشكال السلام كذلك...
- قل لي: هل كنت جمهوريا أم ملكيا؟
- لا أدري...
- أستطيع أن أخمن أنك كنت جمهوريا... روبرت جوردن كان جمهوريا شيوعيا...
- وما دخله؟ سكت بابا هنيهة ثم استطرد غاضبا:
- لا تلمحي لنفس الموضوع...
- غصبا عني يا بابا... الشبه كبير بينكما...
- فلتذهبا إلى الجحيم... أنا ذاهب لأنام... أتركوني

Modifier avec WPS Office

أرقد بسلام...

- "لا أحد يموت قط" يا بابا...

****

فتحت عيني فوجدتني نائمة على الأريكة و الحاسوب مفتوح على موقع يتحدث عن الحرب الأ هلية الاسبانية، أنا هكذا عند كل قراءة لرواية أدخل العالم الأزرق أو أبحث بين ثنايا الكتب التي أملكها عن خلفيات وظروف العمل الروائي وعن الأماكن و الطقوس والعادات الجديدة التي لا أعرفها... هو هكذا الروائي الجيد؛ من يجعل منك قارئا نشطا ويفتح لك عالما جديدا يجعلك تبحث لفك شفراته و الغوص في مضامينه، وهو أيضا من يتقن الولوج إلى أعماق النفس الإنسانية للكشف عن عوالمها الدفينة... ارنست همنجواي كان كل ذلك؛ مع كل قصة هناك حدث جديد ومكان مختلف وشخصيات من نوع آخر ، كانت هناك الحياة بمتعتها والحرب بويلاتها، حتى وجدتني أنا القارئة أضفت إلى بحر لا يحب إلا الزيادة الكثير من العوالم التي كلما اتسعت زادت مذكرتي ثراء حتى أصبحت أظن أن مذكرتي ستكون عالما لوحدها... كان هناك الأكل على اختلافه و المشروب بكل أنواعه ومع كل قراءة أو حلم تزيد

Modifier avec WPS Office

الشهية ومن ميزات قارئ رواية همنجواي أن يذهب بعد القراءة مباشرة إلى المطبخ أو...

.....

عادت صابين من جولتها مع أمها وكانت تبدو عليها علامات الاستياء... كل ما أعلمه أن والدتها سمعت بوجود كنيس لليهود يدعى" لغريبة" بحي بلا ص دارمPlace d’armes بعنابة فجاءت وكلها شوق لزيارة المكان...

- ماذا دهاك عزيزتي صابين؟
- لم تكن هناك كنيس....
- كيف؟
- لقد تم تحويلها منذ زمن إلى مسجد صلاح الدين الأ يوبي...
- لقد أخطأنا بعدم السؤال عن المكان...
- أليس من حق معتنقي الديانات الأخرى ممارسة شعائرهم في دور عبادة خاصة بهم؟
- لا تقلقي عزيزتي، أنت تعرفين أن هذا بلد مسلم لا يقبل بوجود ممارسات دينية أخرى حتى لا يتأثر بها أفراد الشعب من المسلمين... يبقى الايمان مكانه الأ سمى في القلوب... وتبقى لكل قناعاته...

Modifier avec WPS Office

****

حضرت الشاي كعادتي وفتحت الحاسوب ورحت أبحث بين ثناياه فوجدت أن هناك من "يملكون ولا يملكون".

"كوبا... الثورة والالهام"

"إنني أحس على وجهي بألم كل صفعة توجه إلى كل مظلوم في هذه الدنيا" تشي جيفارا

أنا ثريا... أنا المعلمة والطالبة العاشقة لهمنجواي... أنا التي زارها في عنابة وأخذها معه إلى باريس واسبانيا وهام بها أصقاع أوروبا... اليوم أنا التي أتيت لاهثة وراءه... وراء حلم بدأه فيدال كاسترو وتبعه فيه تشي جيفارا وألهم العالم كله بثورته ومنهم همنجواي الذي أتى إلى كوبا عاشقا مثلما أتيت إليها أنا... أتى ليتنفس ثورة هذه المرة، ليتذوق حياة بطعم آخر تختلف عن تلك التي عاشها في أوروبا... وأتيت لنفس الأسباب ولأنك هنا تنام يا

Modifier avec WPS Office

بابا همنجواي، لكنك لم تمت...

أتمشى وحيدة بين شوارع هافانا، أبحث عنك مشتاقة ولكن المشتاقة هذه المرة امتزج لديها إحساس العشق بروح الثورة والالهام النابع من روعة هذا الشعب المتميز...

أمشي وسط متحف مبني فوق هذه الجزيرة الكاراييبية بروعة، أشعر وكأنني في ستينات القرن الماضي وسط هذه المباني العتيقة المختلفة الألوان والأشكال، أحس بعطر من نوع خاص يخترق أنفاسي، روح جديدة سكنتني، المباني العتيقة لها رونق آخر وكلما صارت أقدم زادت قيمتها... كنت أبحث عن الفندق الذي يقيم فيه بابا همنجواي وفي طريقي رأيت شعبا مختلفا وعلى اختلافه رائعا وعظيما... قال لي أحدهم إنه يرقد في مكان ما هنا في هافانا لكن الذي أبحث عنه لم يمت، يبدو أن هذا الرجل من زمن آخر... لقد سألت الشخص الخطأ... كيف يقول عن روح لا تزال حية أنها ترقد في مكان ما؟ ثم من يعرفه هو؟ أنا لا أعرف اسمه ولكن لدي اسم مطبوع في كياني: ارنست همنجواي... بابا همنجواي، صاحب العقل لا يموت ولكنه لا يعلم أو

Modifier avec WPS Office

يتغابى، كيف له أن يعيش في بلد كل يوم الناس تقصده لزيارة همنجواي ومحلات بلافتات عليها اسمه وكتبه التي بين الأيدي ويقول لي إنه ميت؟ يا له من مغفل...

قلبت صفحة الرجل ورحت أبحث من جديد حتى دلني أحدهم على مكان الفندق الذي يقيم فيه بابا... وأنا متجهة إليه رأيت في طرف الشارع مغنيا يلبس قميصا مزركشا بالألوان، كان طويلا، أسمر البشرة، بحذاء سانتييغو وقيثارة في يده، وسط جمع من السياح... تهادت إلى مسامعي أغنية وانتانامیرا Guantanamera التي كان يؤديها بصوت جميل ولحن جذاب فوجدت نفسي رغما عني متجهة نحوه... كانت كلمات الأغنية وحدها ثورة، تجذبني كالمغناطيس:

وانتانامیرا واهیرا وانتانامیرا

أنا رجل صادق... قادم من أرض النخيل

قبل أن أموت أريد أن أحرر أشعاري...

التي تسكن داخل روحي...

وانتانامیرا واهیرا وانتانامیرا

لا تتركيني في الظلام... كي أموت كالخونة

Modifier avec WPS Office

أنا بارع... ولكن رغم براعتي
سأموت تحت أشعة الشمس
وانتاناميرا واهيرا وانتاناميرا
مع كل الفقراء في العالم...
أريد أن أضع حظي...
ذلك النهر الذي يتدفق بين الجبال...
يسعدني أكثر من البحر...
وانتاناميرا واهيرا وانتاناميرا
الفهد لديه مأوى في جبله البني الجاف
أنا لدي أكثر مما يملكه الفهد...
لأنني أملك صديقا حقيقيا...
وانتاناميرا واهيرا وانتاناميرا

وضعت قطع بيسو كوبي في قبعة المغني وانطلقت وقد سرت في داخلي حرارة لم أعهدها، حماس لم أتوقعه، نور سطع في سمائي، أحاسيس تبلورت في داخلي وأنا أقترب من فندق أمبوس موندوس... بقيت خارجا أتأمل جمال وعراقة المبنى

Modifier avec WPS Office

ثم دخلت ومعي مرشد إلى غرفة بابا همنجواي لكننا لم نجده، قالوا لنا أنه اشترى بيتا بضاحية فينكا فيخيا على مشارف هافانا وانتقل للعيش هناك مع زوجته الحالية... ترى مع من منهن تقيم الآن يا بابا؟ هادلي ريتشاردستون المحبة الحنون التي عاشت معك أيامك العصيبة في باريس وأم ابنك جون، بولين بفيفر الصحفية والكاتبة الثرية التي رافقتك حينما لمع نجمك وأم ابنيك باتريك وغريغوري أم مارثا جيلهورن الأرستقراطية الذكية بجرأتها وشجاعتها في ميدان المعركة التي شاركتك فيها (منها الحرب الأهلية الاسبانية) كصحفية نشيطة؟ لكن المرشد أخبرني أنه يقيم مع زوجته الرابعة ماري ويلش وهي صحفية التقاها بلندن... قبل أن نذهب بقيت أتجول في غرفته التي كان يكتب فيها جزءا من رواياته... هناك كانت صديقته الوفية " ماكينة الكتابة" موضوعة مقابل السرير ورأس الثور معلقا على الحائط إلى جانب بعض اللوحات الفنية وصور لفيدال كاسترو... كم أنت ذواق يا بابا... أتذكر فيدال كاسترو قد مر من هنا لكن لا أدري متى بـ الضبط؟

Modifier avec WPS Office

خرجنا من الغرفة متجهين إلى منزله بفينكا فيخياFinca Vigia بالقرب من سان فرانسيسكو دي باولا...

في طريقنا كنت أسمع موسيقى الرومبا وقد امتزجت مع الهواء الكاراييبي وألوان المدينة الزاهية وحيوية شعبها رغم المعاناة حتى أنهم يقولون عن جو هافانا "البهجة تمشي إلى جانب مظاهر الفقر"، تلك البهجة التي تمكن من صنعها الشعب الكوبي على الرغم من قسوة الحياة ولم تصنعها شعوب أخرى تعيش ربما ظروفا أفضل من كوبا وفضل أفرادها الاستكانة إلى الظلام...

رحت أتأمل الأشجار الباسقة والسيارة الكلاسيكية تمشي بنا نحو المنزل تشعرك وكأنك بطل أحد أفلام ستينات القرن الماضي... فضلت النزول بضع كيلومترات أمضيها مشيا على قدمي صعودا للمنزل حتى أحس بقدمي تطأ الأرض التي مشى عليها بابا... المنزل وسط مزرعة كبيرة تحيط به الأشجار، حتى في سكنه لا يتخلى عن الطبيعة، والقطط كذلك تملأ المكان... التفت فرأيت من بعيد قاربا... إنه نفس القارب... نعم هو... هو ذات القارب الذي أتاني على متنه وأنا في عزلتي على شاطئ عنابة...

Modifier avec WPS Office

اقتربت من القارب المدعو "بيلار" حسبما أخبرني المرشد وهو عزيز جدا على قلب بابا... رحت أشاهده من كل النواحي وأتلمسه باحثة عن شيء... ترى عما كنت أبحث في تلك اللمسات؟

جذبتني المزرعة حتى لم أشأ الدخول لكن شوقي لبابا كان أكبر... ما إن كدت أقترب من الباب حتى قابلتني ماري ويلش خارجة، أخبرتها أنني صحفية وطالبة بصدد عمل بحث وتقرير كذلك حول بابا همنجواي فسمحت لي بالدخول وكانت غاية في اللباقة واللطف، شعر ذهبي قصير وقوام رشيق ووجه بشوش... دوما محظوظ مع النساء يا بابا...

خرجت ماري بعد وقت قصير بعد أن صعدت لإيقاظ ارنست من نومه وبينما أنا أنتظر قدومه رحت أتجول وسط البيت الذي كان ذا طراز كولونيالي اسباني... في هذا البيت كتب رائعة "العجوز و البحر"...

كان البيت مليئا بتماثيل لرؤوس الحيوانات؛ منها المحنطة مع الجلود التي تملأ الأرضيات، خاصة تلك التي شاهدها في رحلات السفاري مثل الغزال والأيل وتلك التي تعبر عن حبه لمصارعة الثيران، رأس الثور كان يعتلي مكتبة شهية بألوان الكتب على جانبها

Modifier avec WPS Office

بعض اللوحات والتحف الأثرية ولباس مغامرات الصيد مع تشكيلة من أحذية الصيد وكانت خراطيش الصيد فوق الطاولة إلى جانب العديد من التحف الفنية...

دخلت إلى الغرفة رغبة مني في مفاجئته، وجدته

يقفل أزرار قميصه ولا زال أثر النوم باديا عليه... على الطاولة كانت قبعته الأنيقة ونظارته التي لبسها وأخذ ينظر إلي ثم صاح قائلا:

- أووووه... هذه أنت مجددا؟ كيف وصلت إلى هنا؟
- روحي المشتاقة هي من وصلت إلى هنا يا بابا...
- أين هي ماري؟
- لقد خرجت... قالت أن لديها أمورا تقضيها وتعود...
- اللعنة...
- لماذا تتكلم هكذا عزيزي؟
- أريدها إلى جانبي... لست على ما يرام...
- أنا هنا يا بابا... نسيت رفقتي في البحر وشوارع عنابة وباريس واسبانيا؟

Modifier avec WPS Office

- .....

صمت كعادته حينما يسترجع الذكريات... ثم طلب مني أن أرافقه إلى المطبخ أين قام بتحضير قهوة ومعها قنينة نبيذ وضعها على الطاولة... بعد أن انتهى من شرب قهوته طلبت منه أن نجلس قليلا داخل القارب "بيلار" أين تحدثنا عن ماري الجميلة وقد أحسست كم هو يعاني من قلق شديد وصحته ليست كما في السابق...

- أعذرني يا بابا، ربما مجيئي هو ما جعل ماري تخرج خاصة

لما قلت لها أنني صحفية وإلا ما كانت لتتركك... هي تحبك دوما وتهتم بك كثيرا...

- لابد أنها مشغولة وإلا كانت ستبقى... هي دوما تحضر معي جلساتي وتظهر معي كثيرا...
- صحيح... صوركما تملأ الصحف والمجلات... رأيت لك أيضا صورا مع الزعيم فيدال كاسترو...
- لقد ترافقنا في الصيد كذلك... الزعيم فيدال كاسترو والرفيق جيفارا من محبي الصيد...
- نعم، أذكر لهما صورا على القارب... أنت محظوظ بهذه الرفقة...

Modifier avec WPS Office

- الزعيم فيدال يحب القراءة...
- يحب قصصك كثيرا كذلك... أتذكر أنه ذكر إحداها...
- جميل... جميل... أنا أحب الزعيم... أحبه كثيرا... كثيرا...

دخلنا إلى المطبخ أين حضرت له البرغر الذي يحبه بعد أن أعطاني وصفته الخاصة فيما حضر هو شراب "البلودي ماري" القوي، هو ليس كاتب قصص فقط بل لديه وصفات الأكل الخاصة به ومنها شطيرة التفاح التي حضرتها مع البنات ذات يوم... استمتعت بذوق بابا في الأكل ثم خرجنا متجهين نحو نزل "فلوريديتا" أين طلب الكوكتيل المفضل لديه "دايكيري" المليء بالروم وكان طول الوقت يدخن سيجاره الكوبي الرفيع... كان النزل ضاجا بالناس وأحاديثهم مع صوت الرومبا ورقصات السالسا أحيانا... عدت بذاكرتي إلى حياتنا الهادئة وتساءلت: أيهما أفضل ؟

الصخب الكثير قد يتحول إلى قلق واضطراب والهدوء مع الوقت يصبح روتينا مملا، لكن الموازنة بين الاثنين تعطي للحياة توازنها...

Modifier avec WPS Office

****

كانت صابين تصب الشاي بينما كنت شاردة أمام شاشة الحاسوب... كنت أتنقل بين المواقع باحثة عن منزل بابا همنجواي وعن حياته في كوبا وقد كانت الصور والمقالات كثيرة باللغة الإنجليزية لدرجة أنني لم أستطع الخروج منها لسخائها بالحديث عن حياته و الحياة في كوبا الملهمة...

- أوه... إنهما الرفيقان فيدال وجيفارا... فاجأتني بلقيس...
- مادام الحديث عن كوبا فالأكيد أنهما سيكونان حاضران...
- هل هما جزء من مذكرتك؟
- أكيد... فيدال كاسترو رافق همنجواي في الصيد وقال هذا على لسانه في فيديو مترجم شاهدته قبل قليل...
- لهذا كنت تائهة...
- كنت حالمة صديقتي العزيزة... خيالي كذلك ذهب

Modifier avec WPS Office

بي بعيدا...

- إنها كوبا ... أحب وفاءهم لليسار...
- ليس الكل... حتى الأوضاع لم تتحسن هناك بعد الثورة...
- فعلا... هذا شأن القضايا العادلة...
- "الفائز يخرج صفر اليدين" صديقتي...

رحنا نشاهد صور همنجواي وخاصة تلك التي مع ماري ويلش ونحن نحتسي الشاي المنعنع...

- أعلم أنه عاش مع مارثا جيلهورن في كوبا...
- ولكن بعد طلاقه منها عاش جزءا منها مع ماري ويلش يا صابين... عاش حياة رجل مع نساء ولم تكن حياة "رجال بلا نساء"...
- وعاشا في كي واست أيضا في منزل جميل جدا...
- ثم انتقل إلى ايداهو بعد مرضه...
- .....

رحت أفكر في صمت عن مرضه وطريقة انتحاره المؤلمة... حياة عاشها بصخب وأنهاها بصخب... حتى عندما أراد الرحيل أبى إلا أن يكون رحيله مدويا في كل أرجاء العالم... وصار بيته متحفا يأتيه الزوار من كل

Modifier avec WPS Office

أرجاء العالم... لكنني لا أؤمن أن الكُتّاب يموتون...
خاصة من عاش حياة بابا ومن كتب مثل بابا..

Modifier avec WPS Office

" الحلم يتحقق "

"الدنيا مكان جميل يستحق القتال لأجله". ارنست همنجواي

"همنجواي، حكاية حلم " هو عنوان روايتي التي وعدت بأن أضع كل أحلامي وحبي وشغفي بهمنجواي فيها، صدرت مؤخرا وصرت أدرسها لطلبتي في الجامعة... اليوم أنا أصدح في مدرجات الجامعة عاليا باسمه، طلبتي أحبوا حصتي حتى أنهم استبدلوا اسم مقياس " الأدب الأنجلوساكسوني Littérature anglo-saxone " بمقياس "همنجواي"...

صابين كانت في المبنى المقابل تدرس لطلبة الأدب العربي بعد سنوات قضيناها في الجد للوصول إلى مكاننا المناسب بينما لازالت بلقيس تكمل رسالتها عن " مكانة الشيوعية في بلاد الإسلام"...

تحت مبنى اللغات سمعت مجموعة من الطلبة يهتفون رافعين رايات رافضة للظلم والفساد وكانت بلقيس بشالها الأحمر تتقدم الجموع الغفيرة من الطلبة... وأنا أرى على وجوههم كل ذلك الحماس وتلك الثورة، تساءلت في

Modifier avec WPS Office

نفسي:

"لمن تُقرع الأجراس"؟

قائمة المحتويات

- على الشاطئ وبين أمواج البحر
- ثلاث شابات في عنابة
- جولة في عنابة
- في باريس
- اسبانيا... ومصارعة الثيران

Modifier avec WPS Office

- كوبا... الثورة والالهام

- الحلم يتحقق

Modifier avec WPS Office